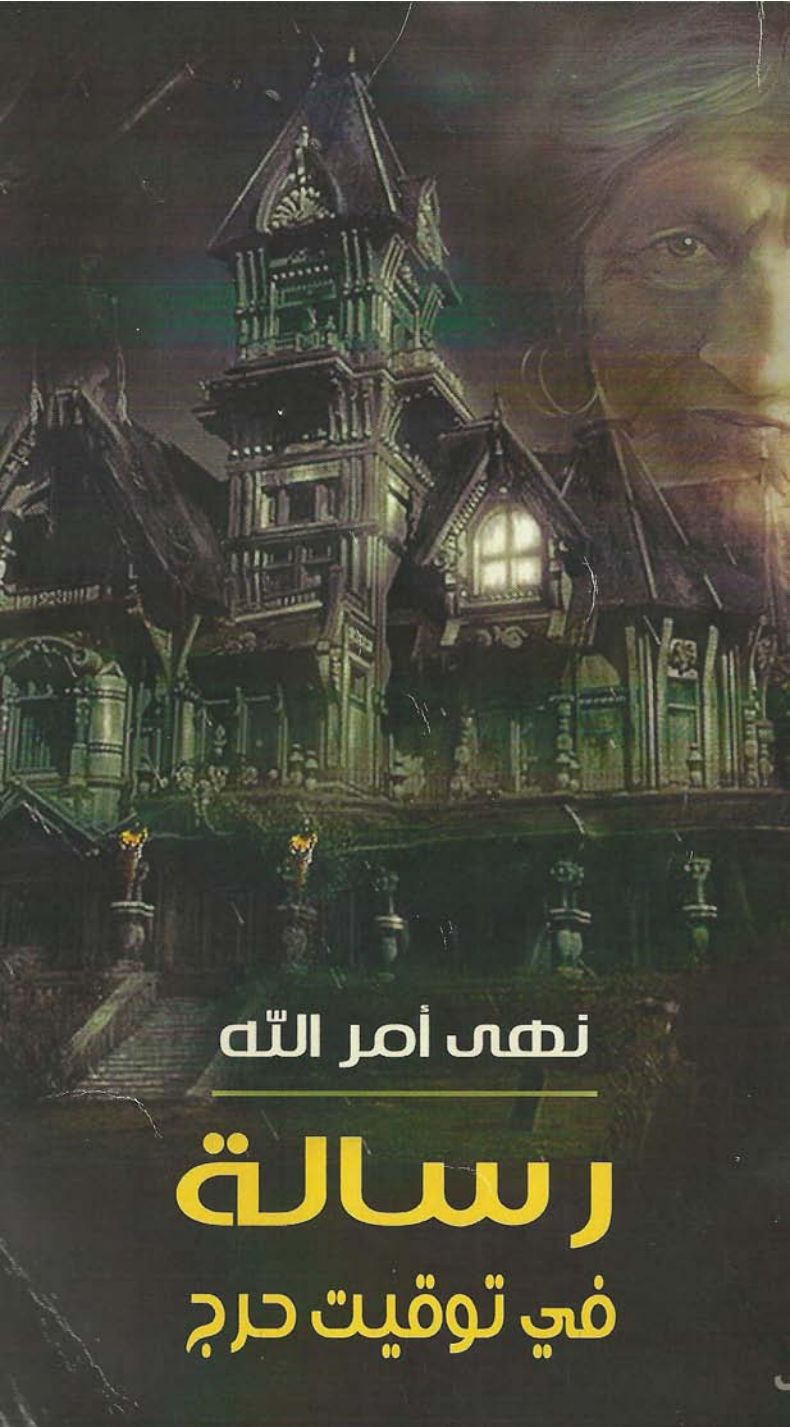

نهى أمر الله

رسالة

في توقيت حرج

١

لم يكن الطريق فارغا من الناس، بل كانت هناك أطنان من الأجساد التي يزيح بعضها بعضا لتسير بالشارع، إلا أن أحمد لم يشعر بهم، لم يشعر إلا بخطواته السريعة المتلاحقة وأنفاسه التي تنافس بعضها بعضا لتخرج من صدره الممتلئ بالخوف، لم يشعر بالبرد المحيط به ولا بالساعة، فقط يفهم أنه يمشي بالطريق، ولا بد أن يسارع الزمن ليخرج من القاهرة بأي حال حالا، وليفعل ذلك لا بد أن يذهب لموقف سيارات الأجرة بأسرع وقت كي يجد شيئا يركبه فالوقت متأخر جدا، لم يكن يعرف لأي مكان سيذهب ولا أي طريق يسلك. كل ما يعلمه هو أنه لا بد أن يخرج من القاهرة بأي ثمن الليلة. لم تكن سرعة خطواته بسبب عنفوانه وكونه شابا في أواخر العشرينات ولكن بسبب رعبه الجاثم على صدره، لم يكن يرى من حوله من البشر بل كان يتمنى أيضا أن يختفي من أمام أبصارهم بأي ثمن، خلال سيره بالطريق حاول إيقاف أي تاكسي للوصول به لموقف سيارات الأجرة لكن لحظه العثر كان في رفض التاكسيات، وكأن الجميع ضده في هذا اليوم. مع

كثرة الضغط والارتطام بالناس أوقف سيارة تاكسي أخيرا لكنه لم يسأل السائق إن كان موافقا على الذهاب للموقف أم لا، بل ركب وبإصرار أمر السائق أن ينطلق إلى موقف سيارات الأجرة ووعده أنه سوف يجزل له العطاء، مرت الدقائق بالتاكسي كأنها سنوات، لم يكسر الصمت سوى جرس موبايله الذي جعله ينتفض ويخرج من دائرة فكره للواقع، أمسك بالموبايل منفعلا وفتحه وألقى شريحة الموبايل لينهي ذلك الشيء الذي تجرأ وكسر حاجز الصمت. كان السائق يتابعه بتعجب لكن لم يبالِ بأمره فكم من رجال خرجوا في هذا الوقت إثر شجار أو وعكة أسرية، وتصرفات أحمد لا تخرج عن هذين الحدثين بالنسبة للسائق. وصل التاكسي للموقف، وألقى له أحمد ثلاثين جنيها دون أن ينتظر رده أو ينظر له.. ألقاهم وجرى.

السائق: إيه يا عم مش كده.

لم ينظر أحمد خلفه، فقط انطلق لدنيا الموقف والسيارات المتراصة هنا وهناك هذه تنادي دمنهور وأخرى إسكندرية وأخرى السويس.. إلى أي مكان يذهب؟ لا يدري.. فكرة الإسكندرية مريحة للأعصاب حيث البحر وزحام المصيفين، الأمر الذي يجعل التخفي سهلا دون أي مكان آخر، أم يذهب لمدينة أخرى، لكن كل المدن الأخرى تشبه القرى، مغلقة على أهلها، وسهل أن يُكتشف الغريب بينهم، إذن الأسلم هو الإسكندرية، وإن كان الجو يميل للاقتراب من الشتاء إلا أنه ما زال هناك مصيفون بسبب رمضان الذي منعهم من الذهاب في عز الحر، فليذهبوا بعد رمضان وإن كانت هناك

لسعة برد. انطلق أحمد ممسكا بحقيبة ملابسه الصغيرة التي كان محتضنها طوال سيره.

أحمد: واحد إسكندرية يا أسطى.

السائق: لا مش هنا.. ده هناك..

وأشار السائق نحو سيارة ميكروباص بعيدة قليلا، ذهب أحمد نحو سيارات الأجرة فوجد الكرسي الموجود بجوار السائق فارغا، فركب.

السائق: هتاخد كرسيين ولا أجيب حد جنبك.

أحمد بتوتر: اتنين.. اتنين.

السائق: ماشي يا باشا.

السائق: يلا نفرين إسكندرية إسكندرية.. صحراوي صحراوي..

انطلق السائق في طريقه بعد اكتمال عدد الركاب وانتهاء التذمر الناتج عن جشع السائق الذي غلّى الأجرة ثلاثة جنيهات بسبب قلة السيارات وتأخر الوقت وعوز الناس له.. انتهت الخلافات وساد الصمت الذي لم يكسره سوى آيات القرآن التي وضعها السائق في الكاسيت على سبيل المباركة (الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ). ابتسم أحمد ابتسامة سخرية خفيفة محدثا نفسه «أتعجب من هؤلاء البشر المتباركين بالدين والله والطقوس الخارجية دون أن يفهموا الله، ترى من هو الله؟ هل هو هذه الآيات القرآنية؟ أم أنه هذا الفعل الطيب في بني البشر؟ أين الله؟».

تنبه أحمد وارتعد لتساؤله كثيرا «أين هو بالفعل؟» تنهد تنهيدة طويلة، ثم ركز النظر في صورة صغيرة ملصقة على التابلوه الموجود بالسيارة، صورة غابة كبيرة كثيفة الأشجار وقد ظهر من خلف الأشجار قصر، الصورة غامضة وقد جذبته بشكل أخرجه عن أفكاره للتحديق بها، فجأة لمح أحمد داخل الصورة سيدة عجوز تظهر شيئا فشيئا من بين الأشجار التي تملأ الصورة، وقد اقتربت العجوز كثيرا لدرجة جعلت أحمد ذاهلا عن كل ما حوله ومنتبها معها، وفجأة وقفت المرأة العجوز وأشارت لأحمد نحو القصر فارتعد أحمد وفاق ثم نظر مرة أخرى للصورة فلم يجد بها سوى غابة وقصر ولا وجود لشيء آخر، فتيقن أنها كانت تهيؤات، ثم أشاح بصره عن الصورة واستند بظهره على الكرسي وانطلق ببصره للخارج يتذكر همه الذي إن استطاع أن يبعده عنه قليلا فلن يستطيع أن يزيحه للأبد.

° ° °

وبدأ يتذكر حين كان جالسا مع أخته منى التي تصغره بعامين - قبل ساعات - داخل غرفة نومه المتواضعة، وقد كانت أخته عائدة توا من المستشفى التي يعمل بها، وكان أحمد منفعلا انفعالا شديدا في حديثه معها.

أحمد: يعني إيه مايدوكيش المرتب بتاعي؟ يعني المفروض نقضي الشهر ناكل زلط؟ وهو مش فاهم الزفت صاحب المستشفى إني ما بروحش بسبب تأميرته على الناس؟ ده ما يخشش المستشفى إلا لما يدفع تأمين ودا يتنيل.. وفي الآخر أهل المرضى يهددوني أنا بالقتل.. كان يوم أغبر يوم ما

مسكت الوردية.. أنا هنزل أمسح بكرامته الأرض.

منى: استنى يا أحمد.. مش هي دي المشكلة.. في مشكلة تانية حاصلة وعشان كده الدكتور رامي قالي أمشي وهو هيعدي عليك بعد شوية في الكافتيريا اللي انتو متعودين تقعدوا فيها.. وحذرني من إنك تروح المستشفى.. أو إنك تكلمه أو أي حد من المستشفى في التليفون.

أحمد برهبة: فيه إيه؟

منى: فيه حالتين إنت مشرف عليهم ماتوا.. والمستشفى مقلوبة مش فاهمة ليه؟

أحمد: أنهي حالتين.. وإيه الرعب الغريب ده؟

وقد شعر أحمد بجدية الأمر وجسامته فنزل لمقابلة الدكتور رامي بالكافيتريا الذي جاء بدوره لكنه زاد أحمد خوفا.

رامي: فيه مصيبة.. مريض أوضة 303 و102 ماتوا وفيه شبهة إهمال جنائي.. فيه مصيبة.

أحمد: وأنا مالي؟ أنا سيبتهم للدكتور وجدي.

رامي: إمتى عملت ده؟!

أحمد: من أسبوعين.

رامي: الكلام غير كده.. ومن الآخر ما حدش هيشهد على الدكتور وجدي.. مش هتقدر تعمل حاجة.. انت عارف اللي فيها الناس دي ما

بتروحش في داهية وزي ما شيّلك إن انت اللي مانع المرضى من الدخول ولبّسك مع أهاليهم هتلبس دي كمان.

أحمد: والحل.

رامي: اهرب.

فاق أحمد من ذكرياته على صوت انفجار كاوتش سيارة الأجرة التي يستقلها، ليخرج من الأحداث الجاثمة فوق صدره على صريخ ولولة السائق.

السائق: إيه اليوم الأغبر ده.. الكوتش ما لحقش.

أحمد: حصل إيه.

السائق: يعني إيه يا فندي؟ ما انت شايف الكاوتش فرقع.. ثم نظر السائق نحو الركاب بالخلف ووجه حديثه لهم – معلش يا أفندينا هتنزلوا على ما أركب الاستبن.

نزل الجميع من السيارة ووقفوا على جانب من الطريق، وكانوا لا يكادون يرون شيئا في هذا الفراغ الفسيح المظلم سوى أضواء سيارات تمر سريعا وطريق خال من الحياة والبشر وفي الأجواء يُسمع صفير الرياح ولا شيء آخر في المكان سوى بعض البنايات ومسجد.

جلس السائق القرفصاء وهو يغير الكاوتش وساعده في ذلك بعض المتطوعين من الركاب وإن كان أحمد قد أخذ جنبا بعيدا محتضنا حقيبته وجلس على حجر كبير على جانب من الطريق وتوالت عليه الأفكار، فلم

يعد لديه الكثير من المال فالحظ العثر جعل منه هاربا وشحاذا في الوقت نفسه، منه للطل وما أقسى الطل إذا لم يكن للإنسان حائط يسد عن ظهره حتى الريح، كان عاريا من جميع الجهات، فقط لديه مائة جنيه متبقية لم يكن يدري هل تكفي غطاء للقدمين أم هو قدم واحد والآخر في الطل؟

كان الجو قارس البرودة والكلاب تصيح بشدة أصابت أحمد بذعر وتوتر شديدين فقال أحمد بتوتر: احنا هنفضل كده كتير؟

السائق: إيه يا عمي.. يعني هو أنا مش عاوز أروّح ولا شايفني مبسوط كده؟ ما احنا أهه بنشتغل..

ثم برطم السائق لباقي الركاب في صوت خفيض:

– ولا بيساعد وشغال أمارة.

مع الوقت اشتدت لسعة البرد وقد بدا على أحمد احتياجه للحمام.

أحمد: أنا مزنوق أوي هروح الجامع اللي هناك على ما تخلص.

مشى أحمد ومن خلفه السائق شوح بيده بقرف منه، وقد سار أحمد في اتجاه الجامع الذي يبدو قريبا وإن كانت المسافة التي مشاها أحمد أكدت له سوء تقديره لمدى قرب وبعد المسجد لكنه واصل السير مسرعا كي يلحق بالسائق ويقضي حاجته في الوقت نفسه، وصل أحمد أخيرا للمسجد إلا أنه فوجئ به مغلقا.

فصرخ أحمد بانفعال: يعني مبني في وسط الطل ولا نفر هيصلي فيك

وكمان مقفول.. لما انت مش موجود لوقت عوزة كده أمال موجود هنا ليه؟

ثم نظر أحمد حوله هنا وهناك وهو مستاء جدا، ثم وجد سورا بعيدا قليلا عن المسجد فسار نحوه ليقضي حاجته في جانب هناك بعيدا عن الأعين، وقد لفت نظر أحمد المكان فظل ينظر بالداخل من الفراغات الموجودة في السور وهو مهتم، فوجد أشجارا ومنطقة مزروعة بالكامل وممتلئة وكأنها غابة مخيفة، وظل يدقق أكثر وأكثر فوجد خلف هذا الشجر الكثيف قصرا بعيدا شكله وألوانه مقبضة وارتفاعه مهيب. انتهى أحمد وأكمل سيره نحو السيارة وكان لا يزال يسير بجوار السور فلمح من بين فراغات السور رجلا قعيدا على كرسي بعجل لكنه لم يتمعن فيه كثيرا بسبب اهتمامه باللحاق بالسيارة، وإن كان جذبه بشدة صوت جهور من الداخل.

– أنا هنا أنهي وأمر وأدي بالجزمة.. واللي مش عاجبه يغور.

انزعج أحمد للصوت وللكلمات لكنه لم يحاول الاستمرار في المتابعة بل أكمل مسرعا نحو السيارة غير مبالٍ بالقصر ولا بأي شيء آخر، وصل أحمد للمكان الذي ظن وجود السيارة به لكنه لم يجد أثرا للسيارة على الطريق، وظل يبحث ويمشي ذهابا وإيابا علّها بمكان في الأمام أو في الخلف لكنه لم يجدها وظل على هذا المنوال فترة وهو في قمة الغضب والاستياء، وكان يسب أحيانا، إلى أن استسلم للفكرة التي كان يرفضها من البداية وهي أنهم ذهبوا.. السيارة والسائق والجميع، تركوه وحده في هذا الطل وحيدا ليس من حوله سوى رمالٍ وكلابٍ ومسجدٍ مغلق من بعيد وشرطة تلاحقه

بالقاهرة، ألقى أحمد بحقيبته على الأرض وظل يصرخ وهو يقفز في الطريق: «يا كلاب.. يا كلاب.. يا كلاب»، ظل في هذه الحالة من الهياج فترة إلى أن هدأ، فقد أدرك أن انفعاله لن يعيد السيارة ولن يخسف بالسائق الأرض.. انفعاله لن يغير الحال هو كما هو ما زال في هذا الطريق الصحراوي وحيدا. توقف أحمد عن الصراخ وبدأ يشير للسيارات المارة لعل واحدة منها تقف له، ظل يشير ويشير لقرابة الساعة ولم يستجب له أحد، وكان يعلم أن محاولاته غير مجدية فمن سيقف لشخص خرج من وسط الصحراء؟ إن وجوده بحد ذاته مرعب حتى لو لم يكن مجرما في نظرهم فهو على الأقل عفريت وفي كل الأحوال لن تقف أي سيارة، استسلم أحمد وجلس على جانب من الطريق ينظر في ذهول وهو يحتضن حقيبته، فهي كل ما يمتلك الآن وقد تصبح هي الشيء الذي سيمتلكه لسنوات فلم يعد لديه أي شيء آخر.

ازداد الجو برودة فأخرج أحمد قميصا من الحقيبة ولبسه فوق القميص الذي يرتديه ثم اشتدت البرودة أكثر فأكثر فأخرج تي شيرت ولبسه فوق القمصان، فلم يعد يبالي بمظهره الرث المضحك فليس خارجه بأفضل من داخله، كلاهما خرب، ثم ذهب أحمد وجلس على باب المسجد المغلق ونظر للسماء طويلا في نظرة عتاب طويلة لعلها أخذت نصف ساعة بعدها انهمرت الدموع منه وكأنه ظل يشكو بعينيه كثيرا فلما عزت عليه نفسه بكى بكاء شديدا، لكن أصعب ما في هذا البكاء أنه أراد أن يحتضنه الله، فلم يجد يدين.. فقط وجد فراغا كبيرا أجبره أن يعافر وحده فلم يعد

لديه سوى غريزة البقاء فعليه أن يستعملها، فجأة تذكر أحمد الرجل القعيد الذي رآه خلف الأسوار ولم يكن يبالي بوجوده، فوجد أنه لا يوجد داعٍ لانتظار فتح المسجد فقد يكون هو نفسه صاحب المسجد، انشرح أحمد ووقف ثابتا متوجها نحو السور والقصر لكنه هذه المرة لم ينظر للسماء ولم يودع رفيقة الشكوى فقد نسيها كما هو حال بني البشر، وقد تكون السماء وقتها حزنت لفعله لكنها لم تحرمه من وجودها يوما قط، لم تستخسر نفسها فيه كما استخسر نفسه، على الرغم من أنها أمه من بدء الخليقة، وعلى الرغم من أنها أكثر من رافقه لكن هذا هو الطبع القديم لبني إنسان.

2

تقدم أحمد نحو أسوار القصر في حذر، ومن بعيد كانت العجوز التي ظهرت له بالصورة التي كانت على تابلوه السيارة الأجرة، تراقبه دون أن يراها وابتسمت لدخوله القصر الذي أشارت له نحوه.

دخل أحمد القصر من بين فتحات السور، فهو لم يجد بوابة مفتوحة أمامه وحتى إن كانت هناك بوابه فيبدو أنها بعيدة جدا، فقد مشي حول القصر كثيرا ولم يعد له أمل في الوصول للبوابة، وبالداخل رأى أحمد القصر هذه المرة أكثر وضوحا، إنه مهيب أكثر مما توقع وإن كان لونه موحشا والحديقة ليس بها إضاءة كافية فقط بالكاد ترى حولك، والأشجار ملتفة حول بعضها وكثيفة والنخيل في كل مكان كأنه ترك صحراء ليجد أمامه غابة، أمر الله غريب، صحيح.. يخلق الحي من الميت، ظل يمشي في هذا المكان المقبض إلى أن غرست قدماه في الطين وظل يسحب قدمَيه فمزق نعل الحذاء المتهدل من كثرة الاستعمال وفتح الحذاء فمه فجز أحمد على أسنانه حين اكتشف تلف الحذاء فهو الحذاء الوحيد الذي معه.

فجأة سمع صوت شخص يصيح: مين؟

انتفض أحمد من الفزع ثم وجد الرجل القعيد الذي كان قد رآه من قبل من بين أسوار الحديقة، هو رجل في الخمسينات يدعى «وَلي» يبدو على ملابسه الثراء الفاحش حيث يلبس قميصا وبنطالا وفوقه روب ويبدو عليه العز وقد أمسك بيده مسدسا وأشار لأحمد بأن يرفع يديه إلى أعلى.

فقال أحمد بذعر وقد رفع يديه فوق رأسه.

– لا لا يا عم.. أنا مش حرامي هو فيه حرامي بيدخل بشنطة هدومه؟ أنا أنا..

فقال ولي بغضب: مين يعني؟

فأجابه أحمد متلعثما: هقول متقلقش هقول.. أنا كنت في الصحرا فالعربية عطلت ومش لاقي العربية.

فقال ولي باستهزاء: ما تسترجل يا بني شوية.

فرد أحمد بقلة حيلة: ملقتش توصيلة.

ولي: ومين يلاقي توصيلة هنا، انت حكايتك إيه؟

أحمد: ولا حكاية ولا زفت.. حظ أمي أغبر.

ضحك ولي وأشار له بالمسدس ليأتي معه وقال: تعال تعال.

تبعه أحمد وهو متوتر وجلس ولي على طاولة موضوعة وحولها عدة كراسي وأشار لأحمد ليجلس وقال: اقعد.

جلس أحمد ثم بدأ بالكلام متلعثما – أنا كنت مسافر لعمتي في إسكندرية وبعدين اتزنقت.. عادي يعني ما الكل بيتزنق.. بس حظي بقى على ما رحت أفك الزنقة كانت العربية مشيت.. بس والله أنا آسف أوي إني دخلت بيتكو كده.. ملقتش أي حتة تانية.. أنا بجد آسف.

فقال ولي وهو متعجب لهيئة أحمد: وإيه اللي انت عاملة في نفسك ده؟

أحمد: البرد موتني.

ولي: ممم..

كان على الطاولة ترمس شاي وأكواب ولفافة مقفولة فتحها ولي فكان بداخلها طعام وقد بدا في عينَي أحمد اشتهاء الطعام وإن منعه الأدب من الطلب لكن فضحته عيناه، وضع ولي الطعام على مقربة من أحمد وأشار له بأن يأكل فمد أحمد يده في لهفة للطعام وأكل سريعا وابتسم ابتسامة خجل عن تصرفه حيال الأكل، لكن ولي لم يكن يبالي أو يتابع طريقة أحمد في الأكل بل نظر نحو الترمس الموضوع على الطاولة وصب لأحمد بعض الشاي وقربه منه، أخذ أحمد الشاي وظل يشرب ويأكل وولي كان يداعب كلبه الأسود الضخم المربوط في شجرة بجانب الطاولة.

قال أحمد وقد امتلأ فمه بالأكل: بس غريبة أوي إن بيتكو في حتة مقطوعة زي دي.

ولي: الناس غير بعض في الهوى.

ابتسم أحمد وقد فرغ من الطعام وجلس يكمل كوب الشاي وقد شعر بالدفء والهدوء النسبي.

ولي: وحشة الدنيا بره.. مش كده.

أحمد: أوي.

ولي: بس مضطرين نعيشها.

أحمد: للأسف.

ولي: بقالك ساعة بتلف وتدور، ما تقول حكايتك بقى الحقيقية.

تفاجأ أحمد ثم قال بتردد: ما أنا قلتلك.

أخرج ولي المسدس مرة أخرى من جيبه ووضعه في وجه أحمد الذي ألقى بكوب الشاي من يده ووقف مذعورا.

أحمد بتوتر وتوسل: أنا دكتور ومتهم في جريمة قتل مرضى.. بس والله العظيم الدكتور وجدي اللي لبسهالي.. زي ما صدرني لأهالي المرضى بتوع الحوادث اللي رفض يستقبل حالتهم عشان معهمش فلوس تأمين وسابهم يموتوا وهما بيلفوا على مستشفى تسعفهم.

فقال ولي بهدوء: تمام كده.. اقعد.

فقال أحمد بحرج شديد وخوف من رد فعل ولي: أنا بقول أمشي أحسن.

ولي: خليك قاعد يا ابني.

رد أحمد بتعجب: أنا ملاحظ إنك مش متضايق من اللي قلته.

ولي: عادي.. على فكرة راجي هو صاحب القصر.. وعمره ما اتضايق من المجرمين.

أحمد: إيه ده!!.. عادي عندكو؟

ولي: احنا عادي.

أحمد بتعجب: عادي!!

ولي: فيه كام واحد هنا في القصر كانوا عليهم أحكام قبل كده.. عادي.

أحمد: لا والله!

ولي: انت تقدر تقعد لو مش لاقي مكان..

كان أحمد مذهولا وغير مصدقٍ لأذنيه، هو بالفعل عرضٌ مغرٍ فهو هارب وفي وسط الصحراء ولا يدري أين يذهب ومعه فقط مائة جنيه ولكن المكان بالفعل مريب والعرض نفسه عجيب.

أحمد: بس الوضع هنا يخوف.

ولي: حاسس إن الأوقع إني أنا اللي أقولك ده مش انت اللي تقوله.. وعموما زي ما تحب لو تحب تمشي عادي ده كان مجرد عرض.

أحمد بلهفة: هقعد هقعد.. ده أنا كنت بتكلم دردشة يعني.. بس هقعد.

ولي: براحتك.. تقدر تفكر شوية وتقرر.

أحمد: مظنش إني هلاقي عرض ووضع أفضل من ده.. على قولك.

ولي: معرفتنيش باسمك.

أحمد: أحمد.

ولي: وأنا ولي.. عموما القرار الأخير في مسألة قعادك دي يرجع لراجي.

أنا هخليك تقول له، وتستأذن منه ومظنش إنه هيمانع، بس خليك فاكر إن في خير كبير هييجي من ناحية (راجي)، بس لازم تتحمله، وتكون فاكر دايما أن اللقمة بتعلم المطاطية، وأنت مش محتاج لقمة بس، انت هربان (وراجي) فرصة من دهب.

ظل أحمد غير مطمئن هل هي طريقة لتسليمه للشرطة؟ لكنه شيء مستبعد فإن أراد ذلك لن يطعمه ويضايفه، أم أنه وقع وسط مجرمين، في كل الأحوال لا داعي لأن يقلق حتى وإن كانوا مجرمين لأنه إن تركهم وهرب آجلا أو عاجلا سيقع في يد الشرطة وسيقابل المجرمين بنفسه في السجن، على الأقل الآن لديه فرصة يعاين المجرمين الذين سيبقى معهم فإن كرههم فالمكان مفتوح ليهرب وليس كالسجن مغلق لأبد الآبدين.

فجأة سمع أحمد صوتا أجش غريبا من بعيد ومرعب.

– انت يا كلب منك له.. هجلدكو.

نظر أحمد لولي في خوف وقال: مين ده؟

ولي: ده صاحب القصر.. راجي اللي قلت لك عليه.

ابتلع أحمد ريقه في ذعر فهو نفس الصوت الذي سمعه يشتم وهو خارج الأسوار، بدا وكأنه سيدخل لوحش حقيقي ليأذن له أن يبقى معه في جحيمه.

في الأثناء ظل كلب ولي ينبح نحو أحمد وينظر له بغيظ شديد وكان ولي يهدئ الكلب وأحمد في حالة حذر وتوتر: ماله ده.. هو اتسعر عليا ليه؟

ولي: أصله جاع وانت أكلت أكله، شوية وهجيب له أكل تاني.

نظر أحمد بقرف للفافة الطعام ولولي متأهبا لما هو مقبل من هذا القصر الذي كان أول ضيافته مسدس وطعام كلب وصوت رجلٍ غامضٍ أجشٍ يتوعد الناس بالجلد.

* * *

كان القصر مهيبا من الداخل ويبدو على صاحب البيت الثراء الفاحش فالقصر واسع بدرجة أكبر مما تخيل والسلالم طويلة، وهناك أكثر من سلم يؤدي لأكثر من طرقة وكأنها مغارة مودرن، البهو فسيح جدا وضخم وبه كراسي رائعة وبه دفاية فحم وكأنهم في عصر آخر على الرغم من أن باقي المنزل من هذا العصر، لكن في المجمل المكان في منتهى الروعة والتابلوهات المعلقة على الحائط رائعة وإن كانت جميعها فيها امرأة تبكي

أو طفل أو حصان، ما يجمع الصور جميعا أن بها شيئا يبكي.

ولي: أوضة راجي فوق.

تقدم أحمد ليصعد السلم في حين أشار له ولي على باب جانبي وتوجه ولي نحوه وفتحه، ففوجئ أحمد أنه أسانسير داخل القصر كي يسهّل على ولي الحركة دون احتياج لأي شخص، ركب كلاهما المصعد، وخرجا منه، فوجد أحمد نفسه في طرقة طويلة مؤدية لأكثر من طرقة أخرى وكان في كل طرقة فوتيه وكأنهم يخشون على أنفسهم الإرهاق، تقدم ولي في إحدى الطرق ومشي كثيرا بها بكرسيه الكهربي ثم دخل في طرقة جانبية أخرى طويلة ثم أشار لأحمد بالوقوف.

ولي: هدخل له أنا وبعدين انت.

دخل ولي وحده وظل أحمد بانتظاره بالخارج وكان ينظر لما حوله بالقصر فالمكان في منتهى الروعة حتى الطرق لم تخلُ من الإبداع الفني فهي مليئة بالتابلوهات والتحف والشمعدان، المكان له بهاء وغرابة تشير لأحمد أنه لن يدخل عند شخص عادي من الأشخاص الذين تعودهم، قد يدخل الآن على شخصية عمره، من هو راجي؟

خرج ولي من عند راجي بعد أن انتظره أحمد طويلا في قلق.

أحمد: اتأخرت أوي كده ليه؟

ولي: أصله عنده ناس تانية.. ادخل له.

أحمد: مش هتيجي معايا؟

ولي: لا.. بس خليك فاكر كويس أوي الكلام اللي قلتهولك.. اوعى تخسر راجي لأي سبب.. أيا كان.

دخل أحمد في استسلام وببعض الخوف، وطرق الباب ووقف على مدخل الحجرة فوجد أمامه حجرة كبيرة جدا مهيبة من كثرة الاتساع والإضاءة العالية وذوقها رفيع المستوى، فيوجد مكتب وبجواره بمسافة يوجد صالون صغير ومن بعيد يوجد سرير ومدفأة أمامها كرسيان، وقد وقف أمام الصالون الصغير راجي وعدد من الأشخاص يبدو أنهم خادمو القصر وكانت ملابسهم متسخة مهلهلة بينما يلبس راجي ملابسَ راقية، قميصا وبنطلونا باهظين ويقف قويا وَسْطهم، وقد كان راجي رجلا في منتصف الستينات يبدو عليه الشر والقوة، غليظ الأسلوب حاد النظرات واثقا من نفسه يعامل الناس باستعلاء وحدة شديدين.

راجي: كله زفت زفت.. مفيش حاجة صح في المكان.. اتفضل يا أستاذ غيّر لون سور القصر عاوزه رمادي.. اتفضل ادهنه تاني.

وقف أحمد متسمرا خائفا على باب الحجرة، فنظر تجاهه راجي بقرف وغضب شديدين وقال: ودا مين الحيوان ده كمان؟!

ابتلع أحمد ريقه بخوف شديد وتقدم ليدخل الحجرة.

أحمد: أنا.

راجي: امسح جزمتك يا حيوان قبل ما تدخل.

مسح أحمد حذاءه حيث كان يلبس فردة واحدة من الحذاء في قدمه

3

في صباح اليوم التالي استيقظ أحمد في الزريبة حيث المكان الذي خصص لمبيته، فهناك بالزريبة عشش مخصوصة للخدم كل عشة تسع فردا أو فردين على الأكثر، وبجوار العشش يوجد مكان مخصص للأبقار والغنم ولا تستطيع أن تخرج منه الحيوانات وإن كانت رءوسهم وذيولهم تخرج منه وبالتبعية أصواتهم وروائحهم، بات أحمد ليلته العثراء غريبة الشكل بهذا المكان الذي ظن أنه أفضل من الشارع ليستيقظ على أصوات الأبقار ولم يكن قد غفل كثيرا.

ثم خرج من العشة القذرة التي كان بها ليجد روز تضع الماء للأبقار، فتركها ونظر للخارج من إحدى المنافذ الموجودة بالزريبة فرأى أناسا كثيرين يمشون بالحديقة وقد بدا أنهم الخدم، وكان منهم من يزرع ومنهم من يحمل أشياء والجميع مشغول.

فوجه نظره لروز وقال: صباح الخير.

نظرت له روز بقرف دون أن تتحدث وأخذت دلوها ومقشتها وخرجت.

أحمد بتعجب: يا.. يا..!! خرسا دي ولا إيه!!

لم تختلف ملابس روز عن الأمس كثيرا، مجرد فستان يشبه الجلباب وعليه مريلة مطبخ وكل ملابسها متسخة، وإن كانت ملابسها تختلف عن بقية ملابس الخدم في الخامة وتجديدها للألوان فألوان الأمس تختلف عن لون اليوم فبالأمس لبست أسود واليوم أحمر أما ملابس الخدم موحدة اللون والشكل، فكلها سوداء وفوقها مريلة بيضاء بالنسبة للسيدات أما الرجال فملابسهم تشبه ملابس الفلاح واللون من فوق ومن تحت كاكي وخامة اللباس الخارجي صوف كخامة كوفيرتات الجيش وفوق رءوس الرجال طواقٍ صغيرة والنساء يربطن شعورهن بإيشارب صغير مربوط من الخلف ولا يظهر من أي منهن أي جزء من الشعر.. وكانت روز بالفعل جميلة على الرغم من هذا الاتساخ، وبها شيء جذاب قد يكون طريقة راجي المختلفة معها وقد يكون اسمها الراقي الذي لا يتقبل العقل بسهولة أن يكون لخادمة.

وبعد فترة خرج أحمد للحديقة المطلة على الزريبة وهي الحديقة التي كان بها بالأمس، وقد بدا على أحمد الجهد واتسخت ملابسه بشدة، وكان قد خلع القمصان وأصبح فقط بالتي شيرت وأصبح متناسق الملبس وإن كان متسخا من النوم بالزريبة، وقد لاحظ أحمد وهو يمشي بالحديقة الجهد والتأثر المرسوم على وجوه العاملين بالمكان فالجميع يعمل في صمت، لا توجد ابتسامة على أي من الوجوه، الكل يمشي حسب الخطة الموضوعة له من

راجي، كالساعة لا أحد يخطئ الطريق، فطريقه محفوظ وكأنه يفعل هذا منذ سنين فأصبح من كثرة الفعل يفعله أوتوماتيكيا بلا تفكير، فكان الرجل الذي يطلي سور القصر يطلي بعناية حتى دون النظر للسور ويغلب على تصرفه الأوتوماتيكية وكأنه يطلي منذ أزمان وكذلك المزارعون وحمالو الحطب والزبالة والأجولة الثقيلة، الكل يعمل وكأنها مملكة النحل.

وقد وجد أحمد وهو يمشي بالحديقة ولي جالسا على طاولة الأمس وما أن رآه ولي حتى أشار له ليأتي..

ولي: مالحقتش تنام.

أحمد: مين ينام في الحركة دي.

جلس أحمد على أحد الكراسي وهو لا يزال يتفحص المكان.

ولي: عجبك المكان.

رد أحمد باستسلام: أهه مكان وخلاص.. الناس هنا تعبانة أوي.. كمان ليه العشش بتاعتهم في الزريبة مش بره؟

ولي: راجي عاوز كده.. خليك أحسن في حالك.

ثم مرت روز من أمامهم فنادى عليها ولي: روز.. حطيتي الفاكهة البايظة تحت الشجر اللي هناك؟

فأجابت برأسها أنه نعم وبدا على ولي الفرحة الغامرة وتحرك بكرسيه وأشار لأحمد ليتبعه.

ولي: تعال بقه نراقب من بعيد.

وقف ولي وأحمد مختبئين خلف الأشجار حيث يراقب ولي شيئا.

أحمد: بتبص على إيه؟

ولي وهو يشير: الشجرة اللي هناك.. روز حطت الفاكهة البايظة.

ظل أحمد يراقب مع ولي وهو غير مبالٍ ثم أتى صبي لا يتعدى الثانية عشرة ملابسه مهلهلة ويبدو عليه الفقر الشديد والعوز وذهب حيث الشجرة التي ينظران نحوها وأخذ الفاكهة الفاسدة التي وضعتها روز وهو يختلس النظرات خشية أن يراه أحد ثم هرب.

أحمد: هو فيه إيه؟

ولي بسعادة: أصل الولد ده بيسرق الفاكهة اللي بتبقى واقعة من الشجر عندنا كل يوم الصبح.. فراجي لما عرف بقى بيخلي روز تلم الفاكهة الحلوة وتحط له الفاكهة البايظة تحت الشجر.. أصل راجي بيحب يشوف الولد كل يوم وهو قرفان من الفاكهة اللي بياخدها.. أكيد بيبقى قرفان وهو بياكلها.

أحمد بانفعال: راجي ده غريب أوي.. الولد باين عليه جعان وفقير.. وهو كل اللي همه يتفرج عليه كل يوم الصبح في الموقف ده.. بدل ما يديه حاجه ياكلها.. الرجل ده إيه؟

ولي بسخرية: مظنش إنك أحسن منه كتير.. ما انت كنت بتتفرج

على مدير المستشفى وهو بيرفض ينقذ ناس بسبب الفلوس وساكت.. ولا انت جاي تتعلم الكلام هنا؟

أحمد بانفعال: أنا لا كان عندي قدرة أدخلهم ولا قدرة أتخانق معاه؛ لأنه هيطردني ومش هلاقي أكل لا أنا ولا عيلتي.

ولي: يعني سكت.

فرد أحمد بانكسار: ويعني الخرس عمل لي إيه؟ ما وصلني لهنا.

ولي بحنو: مش مهم اللي حصل.. المهم هتفكر إزاي في اللي حصل.. هتشوف الدنيا إزاي من بعدها.

أحمد: أشوف إيه.. حياة صعبة غبية مبحبهاش.

ولي: خد في اعتبارك دايما إن كل الأحداث مؤقتة.. هييجي يوم ولازم تنتهي مهما طالت دي طبيعة الأحداث.. واتأكد إن الجزء الأفضل من حياتك لسه ماجاش، يومك أهه من أوله.. استغله.. شوف هتعمل إيه عشان تلحق نفسك.

رد أحمد بابتسامة ساخرة: شكلك متفائل زي أمي.

ولي: في النهاية انت كده كده عايش الحياة.. فعيش سعيد.

أحمد: بحس أحيانا إن البلاوي مش عارفه غير عنواني أنا دونا عن الكل.

ولي: انت اللي مركز على اللي ناقصك.. عمرك في يوم صحيت قلت

الله أنا عندي كدا حلو؟

فرد أحمد بانفعال: طب أنا أعمى.. وريني خدت إيه.. أنا طول عمري فقير وجعان حتى يوم ما اتنصفت وبقيت دكتور وقلت بقى لينا منظر وسط الناس بقيت مجرم.. انت متعرفش أنا عشت إزاي.. ياما أخدتها مشي للكلية وأنا تعبان عشان أوفر حق أتوبيس.. معييش تمن ساندويتش وأنا ميت من الجوع.. الهدمة متتغيرش بالسنين.. ليه أنا؟ ليه؟

ولي بحزن: انت زعلان إنك كنت بتمشي للكلية؟! تعرف إن أكبر حلم عندي إني ألمس الأرض برجلي مش بكرسي؟

بدت الصدمة على وجه أحمد من رد ولي غير المتوقع، ثم قطعت حوارهم روز التي أتت لتنادي على ولي ليسمع أحمد صوتها لأول مرة.

روز: العمال خلصوا تعال بص.

ولي: خليك هنا ما تتحركش هجيلك.

ذهل أحمد لكون روز تتحدث فلم تكن خرساء كما توقع، وتساءل في نفسه ترى من هي روز؟ وكيف تركبت تلك المنظومة الغريبة في هذا المنزل غريب الأطوار؟ كل هذا كان يروح ويجيء في ذهن أحمد في الوقت الذي قاطعت فكره سيدة عجوزٌ تقف من بعيد وتشير بشغف، فنظر أحمد خلفه فلم يجد أحدا سواه، إنها تناديه هو بالذات، فأشار على نفسه باستفسار فتحركت رأسها بالإيجاب ليذهب لها.

ذهب نحوها فدخل في رقعة أرض تختلف عن باقي أراضي المكان. سوداءُ وبها شجرة واحدة في المنتصف، وفجأة اختفت السيدة العجوز، وتلفت أحمد حوله في رعب بعد أن تبين شكلها. إنها نفس المرأة التي رآها أول مرة بالصورة، وتساءل من هي؟ وكيف اختفت؟ في الأثناء رأته روز من بعيد.

فصرخت روز وهي تناديه: يا خرابي تعال بسرعة، ثم نظرت لولي وقالت: انت إزاي تروح هناك وتسيبه؟

ولي بصدمة: لا مستحيل.. أنا إزاي ما حذرتكش.

أحمد: فيه إيه؟!

ولي: رحت هناك ليه؟

أحمد: في ست عجوزة نادتني.. بس فجأة اختفت.

روز: وشفتها كمان.

أحمد: أنا مش فاهم فيها إيه لما أروح الحتة اللي هناك؟ ما أنا من بدري بمشي في المكان.

روز بتأثر: انت مش فاهم.. الأرض دي عليها لعنة.

أحمد بتعجب: لعنة؟ لعنة إيه؟!

روز: فيه ست عاشت هنا من 200 سنة بيقولوا إنها ما كانتش قادرة تعيش سعيدة.. ولما بدأت تتصالح مع نفسها جت وعاشت في الأرض

دي ولما داقت طعم الراحة اتمنت تدّفن في الأرض دي لما تموت.. ومن بعد دفنها بدأت اللعنة.. كل شخص بيمر على الأرض دي لو فيه شيء بيسبب له تعاسة هو مصر يعمله، يتحول لعنة عليه.

أحمد: هو انتي يا إما خرسا يا إما فقر؟

روز بانفعال: أنا قلتلك وانت حر.. واللي يثبت إن اللعنة صابتك إنك شفتها.

ولي: تعال معايا أوديك أوضتي تريح وانسى الموضوع ده.. وأهه بالمرة تغير هدومك.

* * *

جلس راجي وولي في تراس حجرة راجي أثناء نوم أحمد يناقشا ما طلبه أحمد من ولى وهو توفير وسيله هرب له خارج البلاد، وقد بدا وقد بدا على راجي الذعر والانفعال الشديدان.

راجي: إزاي تسيبه يقف في الحتة دي؟ انت مش عارف يا ولي؟ ده كمان شافها.

ولي: قدره كده.. المهم هتعمل إيه في موضوع الهرب؟

راجي: يهرب من إيه ولا إيه.

ولي: اللي علينا نعمله اللي طلبه وخلاص.

راجي: هعمل اتصالاتي وهقول لك.

فجأة سمع راجي وولي صوتَ صقورٍ عاليا في المكان ونظر كلاهما للخارج ثم للآخر في أسى.

كانت الصقور تحلق في السماء وأصواتها تعلو وتعلو أكثر وأكثر ثم تهبط قبالة أحمد الجالس فوق سور شرفة بأعلى القصر، ونظر أحمد أسفله وجد بحرا عظيما مع سواد الليل تظهر فيه شراسة الأمواج، تعجب أحمد واشتد خوفه مع انهمار الأمطار واقتراب الصقور وهذا البحر الذي لم يكن موجودا من الأصل هنا، وتساءل كيف أتى؟ فجأة ظهرت العجوز أمامه محلقة في السماء فحاول أحمد أن يجري لكن لم يستطع فابتسمت العجوز له.

أحمد: إيه الرعب ده؟ انتي مين؟ إيه اللي بيحصل ده؟!

العجوز: مش شايف من كل اللي حواليك غير الرعب.. انت ليه ما اتعودتش تشوف اللي حواليك صح؟

أحمد: هو فيه إيه يتشاف؟

العجوز: مش عارف تشوف ولا مش عاوز تشوف؟

أحمد: لو في شئ ماشفتوش يبقى ملوش لازمه خالص أو ماحتجتوش فأكيد عشان كده ماشفتوش.

العجوز: متأكد؟

أحمد: قلت لك اللي مش بشوفه مش ممكن أكون احتجته.. لو احتجته كنت شفته.

العجوز: طالما مش محتاجه يبقى نتقايض.. اللي ما تشوفوش وما تحسش بيه يروح وفي يوم هديك بداله شيء تحتاجه.. بس لما تعرف إيه اللي انت محتاجه.

أحمد: انتي مهتمة بيا أوي كده ليه؟

ابتسمت العجوز دون أن تجيبه وأعطته ظهرها واتجهت نحو القمر واختفت فيه.

أحمد: يا ست يا ست.

ازداد انهمار المطر وعلا صوت الصقور وأصبح أكثر رعبا مع صوت الرعد وزاد من خوفه منظر البرق الذي في السماء والبحر الهائج أسفله.

كل ذلك جعل أحمد ينتفض فإذا به يجد نفسه في سرير ولي وولي جالس على كرسيه أمام السرير.

ولي: إيه.. حلمت؟

أحمد: عرفت منين؟

ولي: صوت الصقور.

أحمد: وإيه العلاقة؟

ولي: راجي قال لي إن الحلم بيها بيصحبه تغير في المكان.. في الواقع.. صوت صقور.. برد زيادة.. وحشة في المكان إلى حد ما.. خايف؟

أحمد: هخاف من إيه.. بس مستغرب من كلامها.. اللي عندك

وماشفتوش تبقى ما احتاجتوش وتقايضني بيه.. بس أنا لا قبلت ولا رفضت.. وحتى لو قبلت... إش ياخد الريح من البلاط؟

ولي: مش بمزاجك تقبل هي اللي بتقرر إنها هتعمل فتعمل.

أحمد: وأنا هشغل بالي بالخرافات دي ليه؟ المكان هنا بيصدق بالخرافات أوي.

ولي: يمكن.. على فكرة راجي عاوزك.

أحمد: هدخل الحمام بعدين أروح له.

ولي: فيه حمام في الأوضة ادخله ولما تخرج ابقى كل.. أنا جيبت لك ساندويتش معايا.. انت ما فطرتش وبقينا دلوقت المغرب.

لم يكن أحمد قد تفحص الحجرة جيدا قبل النوم لكنه بعد استيقاظه بدأ يدقق في المكان، كانت حجرة ولي تختلف عن حجرة راجي كثيرا تبدو كأنها حجرة حالة حنونة، وكأن السرير بالحوائط تحتضنك وتدللك قبل النوم، السرير دافئ والألوان هادئة، موف داكن والإضاءة الصادرة من الأباجورات الجانبية هادئة والستائر بالريموت، لا يوجد مكتب ولا مكتبة في الحجرة فقط فوتيه وكرسيان بجوار مدفأة خشبية بالفحم، نظر أحمد نحو المدفأة بتعجب وهو يتحرك نحو الحمام ثم استدار ليحدث ولي.

أحمد: الذوق عالي أوي هنا في القصر.. بس اشمعنى دفاية فحم مع إن وصل لكم التطور يعني.. ريموت وشاشة إل سي دي على الحيط؟

ولي: راجي شايف إن اللي يرفهنا إحنا نعمله لنفسنا.. أما التكنولوجيا اللي ترفه الخدم بلاش منها.. أمال هما هيقعدوا يعملوا إيه لما يترفهوا؟

كان ولي يضحك في حين كان أحمد متعجبا منه، فولي كان شخصية غريبة بالنسبة لأحمد فأحيانا كثيرة يشعر به حنونا بشكل أبوي فظيع يجعله يشعر أنه خلق ليصبح يدا تربت على الناس وتمسح الحزن، وأحيانا أخرى يشعر أنه كلب مسعور دنيء الفكر.. ما جعل أحمد دائم التساؤل كيف يتصادف الطبعان في شخص واحد؟ وجعله دائم الشعور بعدم الراحة بالمكان، وإن كان قدرا لا بد أن يستكمل.

بعد فترة ذهب أحمد لراجي في حجرته وقد كان راجي يجلس في الصالون الجانبي يشرب القهوة في استجمام، وباب الحجرة مفتوح، طرق أحمد الباب وهم بالدخول.

راجي بتعال: قلت لك قبل كده تمسح رجلك يا حيوان.. ما بتفهمش؟

بدا الغضب على أحمد الذي جز على أسنانه وكتم غيظه، ثم مسح حذاءه وتقدم نحو راجي الذي مد يده بورقة أمسكها بأطراف أصابعه وأعطاها لأحمد باستعلاء.

راجي: ده عنوان واحد ممكن يساعدك تهرب.. وخد بالك دي تاني

مساعدة يعني ليا عندك طلبين هطلبهم في المقابل.

أحمد: فاكر.

راجي: غور.

ثم تحرك أحمد ليخرج في حين انتبه راجي ودقق في حذاء أحمد وناداه: استنى.. دي جزمة ولي.

أحمد بقلق: ما آه.. هو اداهالي.

فأشار له راجي بأطراف أصابعه أن يذهب، ثم لمح راجي خيالا يتنصت عليهم.

راجي: روز.. بطلي ترمي ودنك.. روحي ولما هعوزك هندهلك.

قالها دون مفاجأة من الفعل كأنه شيء اعتيادي ودون انفعال، فتحرك الخيال الموجود على الحائط واختفى دون أن تتحدث روز بأي كلمة، ثم تبعها أحمد بالخروج وقد بدا عليه الفضول والتساؤل عن سر راجي مع روز.

* * *

هدأت حركة القصر مع تأخر الوقت واختفى الجميع ليمر أول يوم لأحمد بالقصر بهذه السلسلة الغريبة من الأحداث والمواقف، غريب هذا اليوم الأول الذي نام أكثر من نصفه ومع هذا كان مليئا بالأحداث والمغامرات. كان أحمد يشعر ببعض الجوع فلم يأكل سوى ساندويتش من ساعات، فولي لم يحضر أكثر من ساندويتش واحد فقط، كل هذا القصر والوجبة طوال اليوم

كانت عبارة عن ساندويتش جبنة قريش وبالتأكيد صناعة بيتي والخبز كان يبدو أنه صناعة منزلي وإن كان بالفعل شهيا ويؤكد جودة الخدم الموجودين بالقصر، لكن جودة الخدمة لم تزح الأسئلة الملحة التي كانت في نفس أحمد «مَن مِن الخدم كان من أصحاب السوابق والإجرام الذي أشار إليهم ولي؟»، «من أين يأتي الغدر؟»، من المؤكد أن راجي مجرم ولكن المجرم الكبير لا يعمل بيديه فلديه صبية، ترى أي واحد منهم يحترس منه؟ مع كل هذا القصر الكبير الجميل الذي لم يحلم قط أن يعيش فيه لم يكن يستطيع استطعام الجمال، ولم يشعر بالراحة بأي مكان فيه، فقنع بالجلوس على سلم جانبي. جلس فوق إحدى درجاته مستغرقا في التفكير، فجأة وجد رأس شخصٍ تظهر أمامه في هذه الإضاءة الخافتة فانتفض.

روز: مالك!!.. هو أنا عفريت.

أحمد بقرف: لا العفو.

روز: هتعمل إيه.

أحمد: في إيه.

روز: في البلاوي اللي انت فيها.. انت رايح في مصيبة.. رايح رايح.

أحمد: أعوذ بالله.. يا ستي أنا في هم.. ناقصني الكلمتين دول.

روز بقرف: اشقط.

أحمد: إيه ده؟

روز: مفتاح الأوضة اللي هيئويك فيها راجي.

ألقت روز المفتاح فالتقطه أحمد الذي أصبح مع الوقت يزداد بغضه واستغباؤه لروز، ومشت روز وبقي أحمد في مكانه متابعا بنظره هذه السمجة.

أحمد: يا باي.. يا سم أهلك.

ثم سمع أحمد صوتا بجواره يسأله: هتقعد؟

التفت أحمد مذعورا فوجد رجلا خلفه يلبس الرداء الكاكي الغريب الذي يرتديه خدم القصر وقد بدا على الرجل وسامة بسيطة وكان في سن الأربعين، ويلبس ملابس الخدم إلا أنه لا يشبه الخدم يبدو أنه ابن عز وعائلة وإن كان مظهر ملبسه يقول عكس ذلك تماما، كانت عيناه بها بريق لؤم يثير الخوف، وإن كان يحاول أن يخفيه إلا أنه يظهر رغما عنه.

أحمد: انت مين؟

عدنان: عدنان.

أحمد: يعني مين؟

عدنان: عايش هنا في القصر.

أحمد: من الخدم؟

عدنان: اخرس.. أنا واحد عندي مشاريعي ونجاحاتي.

أحمد بسخرية: واضح واضح.

عدنان: حاول تمشي.. راجي ممكن يقتلك في أي وقت.. ده ملوش عزيز.. الراجل ده ما بيعملش حاجه لله وأكيد وراه مصيبة وهيوقعك فيها.

أحمد: وانت قاعد ليه؟

عدنان: ماسكلي ذلة.. أنا نصحتك أهه وانت واللي تشوفه.. أنا همشي ممكن يئذيني.

تركه عدنان ومشى وهو يتلفت حوله في ذعر من أن يراه راجي أو أي شخص قد يبلغ راجي.

أحمد: يا ربي أنا ناقص غلب.. خلاص ما بقاش فيه غيري؟ ما الناس مالية الدنيا وزع عليهم شوية.

قام أحمد وقد زاد عليه الهم أكثر من ذي قبل وخرج للحديقة حيث الأنوار الخافتة، نفس شكل الحديقة بالأمس لكن من دون ولي، وكذلك اليوم لم يعد هو غريبا بل مقيما بالقصر وقد يكون مقيما مستهدفا.

كانت الأشجار تبدو مزعجة من التفافها الزائد حول بعضها تبدو مرعبة جدا والصمت مزعج أكثر من اللازم، فالصمت الشديد يظهر كل صوت لم نعتَد سماعه. فكان يسمع صوت عريرالصراصير وصرير الريح وحفيف الشجر ونباح الكلاب ، حتى إنه شعر أنه يسمع صوت دقات قلبه! ناهيك عن أنه يشعر بها كطبلة دويُّها يُسمَع في رجليه، ظل أحمد يمشي في الحديقة يبحث عن مكان الحجرة التي سينام بها، فقد من عليه راجي بألا ينام في

الزريبة، ظل يبحث متحيرا وقد ظهر عليه الاستياء الشديد.

أحمد لنفسه: الغبية دي مش تقول لي الأوضة فين بالظبط.

ظل يمشي كثيرا حتى وصل إلى مبنى جانبي به عدد من الأبواب ويبدو أنهم لحجرات، وقف متحيرا أمامهم ثم تلفت حوله حتى يتأكد أن أحدا لا يراه، فإن أخطأ وحاول فتح حجرة غير حجرته، قد يظنونه لصا.

كان أحمد يطرق كل حجرة قبل محاولة فتحها وإذا لم يجِبْه أحد جرب المفتاح، وكلما جرّب فتحَ حجرة ظهر عليه الرعب والخوف، حتى وصل لآخر حجرة فلم تنفتح هي الأخرى ولم يجبه أحد إثر طرقه لباب الحجرة.

أحمد محدثا نفسه: أمال فين يعني الأوضة؟ ربنا يهدك يا راجي انت وروز.

ظل أحمد يتلفت حوله في الحديقة حتى وجد حجرة على شكل بيت صغير جميل فتوجه إليها ليجرب فتحها.

صوت سيدة: مش ممكن تكون أوضتك اللي هناك..

فالتفت أحمد للسيدة متفاجئا، فأكملت: يعني راجي نطقك شوية ومانيمكش في الزريبة.. إنما مش معنى كده هيقعدك في دي.. دي أوضة ست البنات المدلعة روز.

كانت السيدة في سن الخمسين دميمة جدا ورفيعة جدا، عظامها تكاد

تكون بارزة.. ووجهها ممتلئ بالتجاعيد، تنقبض من دمامته، وكانت تمسك في يدها لمبة جاز وتلبس ملابس السيدات السوداء وتجمع شعرها داخل إيشارب أبيض مربوط للخلف.

أحمد: انتي مين.

السيدة: حورية.

أحمد بسخرية: الحور اختلفوا أوي.

حورية باستياء: عاوز تعرف مكان أوضتك.. ولا تخرس وأمشي وأسيبك؟

أحمد: لا لا عرفيني.

سارت حورية أمامه وتبعها هو وقد أنارت الطريق من خلال المصباح صاحب لمبة الجاز، ما زالت الأصوات كما هي.. كلاب ورياح وحفيف شجرٍ وإن زاد عليها صوت أنفاس حورية وخطواتها، ثم وقفت أمامَ سلمٍ مؤدٍ لمبنى مهجور ومنظره رثٌّ ومقرفٌ جدا.

حورية: اطلع السلم ده، في آخر الطرقة هتلاقي أوضتك.

رد أحمد بابتسامة مصطنعة: تشكري.. مش هتديني اللمبة؟

حورية بجمود: صرف أمورك لوحدك.

وهمَّ أحمد بصعود السلم فمسكت كتفه فنظر لها وقد حدقت فيه بقوة وحدثته بجدية شديدة.

حورية: حاول تسمع كلام عدنان.. دي نصيحتي ليك.

انقبض صدر أحمد ووقف مكفهرا في حين أخذت هي مصباحها واختفت بين الأشجار هي وشبح خيالها.. صعد أحمد السلم المكسور المؤدي لحجرته فوجد طرقة طويلة مظلمة بها خشب ملقى في كل مكان، وكأن المبنى مهجور.. فظل يتحسس طريقه المظلم في البناية التي ليس بها أي إضاءة سوى التي تأتي من أنوار السهريات الموجودة بالحديقة، وقد عرقلته الأخشاب الملقاة أكثر من مرة على الرغم من بطئه وحذره، وفجأة ارتطمت رجله بمجموعة خشب فدخل شيء حاد في رجله.

فصرخ أحمد قائلا: أبو راجي.. لأبو ولي.. لأبو المستشفى.. يا ولاد القديمة.

مسك قدمه التي تؤلمه بشدة ثم تحامل على نفسه وأكمل الطرقة حتى وصل لباب الحجرة فوجد المفتاح متعثرا في فتحها إلا أنه فتح الحجرة في النهاية ودخل.

كانت الحجرة مظلمة تماما ورائحتها سيئة ومكتومة إلى حد ما، وقد تفحص المكان من خلال بصيص النور المقبل من الحديقة فوجد كراكيب بسيطة بالأرض ولا يوجد سرير فقط بطانية، وفي مقدمة الحجرة على الأرض يوجد لمبة جاز، جرى نحوها أحمد بلهفة ومسكها وتحسس حولها بحثا عن وسيلة إشعال فوجد كبريتا موضوعا في جوارها، فظل أحمد يحاول فتحها ويبحث عن كيفية إشعالها مدة ليست طويلة وليست قليلة حتى نجح

أخيرا وأشعل المصباح، وكان أول ما لفت نظره عندما أنار الحجرة الحوائط، فقد كان بها رسم كفوف مطبوعة بالدم، كفوفٍ كثيرة بصورة مرعبة، وبالفعل كان يوجد بطانية كما رأى في الأرض، من صنف بطاطين الجيش الصوف، وفي جوارها يوجد عدد من الأقمشة البيضاء الكثيرة جاء في ذهنه أنها ملاءات لكن منظرها لا يشبه الملاءات، وجاء في ذهنه أنها أكفان لكن سرعان ما أقنع نفسه أن يرفض الفكرة وبقوة تامة، وحتى لو اضطرّ أن يكذب عينيه ويدعي أنه لا يوجد شيء على الأرض من الأصل.

جلس أحمد على الأرض وهو يفكر ثم سحب بعضا من الأقمشة البيضاء وصنع منها شيئا يصلح أن يضعه تحت رأسه وهو نائم وتغطى بالبطانية الصوف، لكن بعد دقائق بدأ يحك جسده من شيء يقرصه لعدم نظافة البطانية فتحامل على نفسه وتحمل البرد وألقى بالبطانية بعيدا عنه، ثم قلب نفسه على جانبه الآخر وأصبح وجهه للحائط فوجد أمامه مكتوبا (حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا راجي) فتتبع المكتوب فوجد عبارة أخرى (كفاية عذاب) (الموت قرب).

فقال أحمد في فزع: لا بقى دي عصابة.

وانتفض من نومته وخرج من الحجرة، ظل يمشي في خطوات سريعة متوترة نحو القصر حتى اقترب منه فوجد ولي جالسا بالتراس الأرضي في القصر.

ولي: انت رايح فين.

أحمد: انتو مش كنتوا نمتوا!! – ثم أكمل بخوف: أنا عاوز أعرف إيه اللي بيحصل هنا.

ولي: احنا كنا في أوضنا.. بس عادي ما نمناش.. وبعدين فارق في إيه نمنا ولا لا؟

أحمد: إيه اللي بيحصل هنا؟

أجابه راجي بهدوء: دنيا.

أحمد: يعني إيه؟

راجي بتحدٍ: هنا دنيا زي اللي بره.. فيه حلو ووحش.. وراحة وتعب.. ومفيهاش أمان.. شوف عاوز تكمل في الدنيا ولا هتعمل إيه.

أحمد: أنا ماشي.

راجي بانفعال: اعرف إنك لو خرجت مش هترجع تاني.

ولي: استنى يا راجي.. أنا هكلمه.. ما تشغلش نفسك.

راجي: أنا هنام.. وانت يا تروح تتخمد.. يا تغور وما تجيش هنا تاني.

تركهم راجي ودخل القصر.

ولي: اطلع يا أحمد هنا.

أحمد: فين السلم.

ولي: حاول تنط.

تشبث أحمد بسور التراس ثم قفز للداخل وجلس على كرسي بجوار ولي.

ولي: يمكن المكان هنا غريب فيخوّف.. بس مش كل الصور الغريبة تستحق الخوف.. ممكن نكون متخيلين.. حاول ما تسمعش كلام كتير.

أحمد: انت مش فاهم أنا فعلا مش ناقص.

ولي: لو شفت أي أذى مني ما تثقش فيا.. هنا المكان محدش فيه بيحب التاني.. اوعى تسمع لأي كلام.. وعشان متقلقش هتبات معايا هنا في القصر.. ده شيء عمرنا ما سمحنا بيه.. إنما هسمح لك انت بيه.. هتبات في أوضة جنبي وجنب روز.

أحمد: هي مش روز أوضتها بره؟

ولي: روز بتخاف تنام فيها.. فراجي حطلها أوضة هنا عشان تبقى قريبة منه.

أحمد: واضح إن روز مش حد عادي ولا سهل.

ولي: روز دي حاجه تانية ملكشي فيها.. تعال نطلع فوق.

صعد كلاهما ولي وأحمد للقصر ودخلا من إحدى الطرقات لطرقة أخرى فسيحة مؤدية لباب حجرة جديدة لم يدخلها أحمد من قبل، ولم يدخل هو أو ولي بل أشار ولي لأحمد بأن يجلسا على فوتيه بالطرقة الفسيحة والذي كان أمامه طاولة.

ولي: هتبقى تنام في الأوضة اللي هناك دي.. بس الأول خلينا نقعد شوية سوا هنا.. بص انت ماتعشيتش.. اقعد على ما اتصل تحت بروز في المطبخ وأقولها تبعت أكل.

* * *

كانت روز بالمطبخ منهمكة في إعداد صينية الطعام التي طلبها ولي منها، وقد كان المطبخ ككل مكتظا بالخدم وكأنها ليست ساعة نوم، وهو الشيء الذي يفسر الهدوء الذي عم القصر فالجميع كان بالمطبخ الموجود ببدروم القصر، وقد جلست السيدات حول طاولة ضخمة يقشرن كومة كبيرة من البطاطس أمامهن، وأخريات يعجن عجين الخبز وأخرى تمسح وأخرى تغسل ملابس الخدم في غلاية وتقف على الغلاية التي وضع بها الملابس حيث يحرم غسل ملابس الخدم في غسالات حسب تعليمات راجي، ولا بد أن تغلى جميعها لعدم إفشاء أمراض بالقصر، كان الجميع يعمل بانهماك غير طبيعي ولا ضحكة ولا كلمة ولا صوت فقط تسمع صوت الغلاية وصوت استعمال الأدوات.

روز: هروح أطلع صينية الأكل لولي.

خرجت روز من هنا وبدأت همهمات السخط تعلو.

سيدة 1: فاكرة نفسها أميرة.

حورية: ما هي اللي على الحجر.

سيدة 2: امتى هيخلصنا ويدينا اللي عاوزينه.

سيدة 3: ساعتها هيبقى في نظرنا مجرد كومة عضم تتزق بالرجلين.

حورية: هو عارف ده عشان كده عمره ما هيبل ريق حد.. اشتغلوا.

دخلت روز الطرقة التي يوجد بها أحمد حيث كان يجلس على الكنبة وثنى رجله تحته وكان مستجما فتعجبت وتفاجأت لرؤيته.

روز: هي دي المقعدة اللي في بيتكو.

أحمد: مقعدة!!

روز: أصلك مفرشح في المكان كده زي ما تكون في فرشتك.

أحمد: مين سماكي روز؟ مش ممكن يكون في حد في عيلتكو أحباله الصوتية تطلع اسم رقيق كده.. مستحيل.

دخل ولي وكان متابعا لحديثهما وكان يضغط على نفسه ليكتم ضحكه ويتصنع الجدية.

فقال: حطي الأكل لأحمد وروحي انتي.

وقد ظهر عليها التذمر لكنها أطاعت ولي ووضعت الطعام وخرجت، بعد خروجها نظر أحمد للطعام بخوف وريبة شديدين وقد اعتدل في جلسته وذهنه يروح ويجيء بالأفكار ويحدث نفسه: اشمعنى طلع في دماغه يأكلني لما قلت إني ماشي.. أكيد الأكل فيه حاجة.

ولي: أنا هسيبك تتعشى وهروح أعمل تليفون.

خرج ولي وتركه وحيدا فابتسم أحمد ابتسامة سخرية للطعام، الذي تعود أن يتمناه وما أن يوضع أمامه حتى يجد شيئا يمنعه عنه، الذكريات تلاحق ذهنه الآن فهو يرى نفسه ذلك الطفل الفقير في المدرسة الحكومي والذي كان بالكاد يجلب معه ساندويتشات وبالكاد يذوق الحلوى مثل بقيه الأطفال، تذكر حاله وهو في الفناء جالسا على الأرض يشاهد الأطفال الأكبر سنا وهم يلعبون بالكرة وهو سعيد ومتابع وقد لمح مِلَبّسَة ملقاة على الأرض ويبدو أنها كانت لأحد الأطفال الذي مصها ثم ألقاها في الأرض، فأخذها أحمد بسرعة شديدة من الأرض وكأنه وجد كنزا ووضعها في فمه دون أن ينظفها خشية أن يراه أحد ويأخذها منه ويدعي أنها تخصه، ولكن لحظه العثر رأته المعلمة من بعيد وذهبت إليه وضربته على يده لسوء تصرفه وتناوله شيئا من الأرض وجعلته يقذف بذلك الكنز من فمه رغما عنه.

أفاق أحمد من شروده على صوت صاخب إثر قذف راجي لصينية الطعام الموجودة أمام أحمد على المنضدة بقدمه وقد اندفع ولي نحو راجي ليهدئه.

راجي: روز ما تخدمش على ده ولا على غيره.

ولي: اهدا دي جابتها بس.. خدمة عادية ليا.

راجي بانفعال شديد وصراخ: روز هنا هانم.. فاهم؟ هانم.

انتاب أحمد حرج شديد لما حدث ورد في حرج: ما حصلش حاجة

على فكرة.

راجي: اخرس خالص.. صوتك ما سمعوش.. ما بقاش إلا ده.

جذب ولي راجي ليخرجا من المكان وما أن خرجا حتى نظر أحمد للطعام ولكل الموقف بحزن وإحراج فنزل من القصر ومشي في الحديقة مسرعا ومنفعلا بشدة، أراد أن يبتعد بأي وسيلة عن الجميع.. أن يختفي من عيونهم إثر هذا التصرف، فقد شعر بنفس شعوره وقت أن كان طفلا جائعا لحلوى وأخذها من الأرض وعُير بها، كان العرق يُضخ ضخا من جسده بالكامل، وابتعد كثيرا كثيرا لعلّه يهدأ ثم وجد حجرا عاليا على الأرض فجلس فوقه منفعلا.

فسمع سيدة تحدثه: أحضر لك العشا.

التفت وراءه فوجد المرأة العجوز جالسة بالقرب من نار مشتعلة تدفئ يديها بها فاكتشف أن قدمه ذهبت به إلى المكان المطلق عليه الأرض الملعونة؛ حيث توجد شجرة واحدة ومن حولها أرض سوداء قاحلة جدباء ويوجد غيوم وضباب بالجو.

العجوز: لسه ما جاش وقت التعب.

أحمد: أنا تعبان من زمان.

العجوز: خليني أقول لك نصيحة.. استمتع بأي شيء حتى لو كان عادي.. ولو متعب كمان.. تعال خد.

خلعت صرة كانت تلبسها في رقبتها من خلال حبل وصّلته بها فأصبحت الصرة كسلسلة، وقد اقترب أحمد منها وأخذ الصرة وفتحها فوجد نقودا ذهبية وقد ظهر التعجب عليه غير أن العجوز بادرت بالكلام قبل أن يستفسر قائلة: هتحتاجهم.

أخذ أحمد النقود منها ولا يزال متعجبا لكن بطاعة الذي تعود أن يطيع دون تبرم أو تساؤل.

العجوز: بس غريبة.. ما اتخضتش مني.

فرد بابتسامة ساخرة أحمد: أنا رايح جاي بتكعبل فيكي.. ده احنا عشرة يا حاجة.

العجوز: على رأيك.

ثم مدت العجوز يدها إلى طبق صغير به طعام كان بجوارها التقطته ووضعت إصبعها في الطبق ثم فتحت فمها لتأكل، ثم فجأة اختفت ولم يبقَ في المكان سوى شعلة النار التي كانت تدفئها، فأسرع أحمد هاربا من المكان مذعورا.

* * *

4

في اليوم التالي بالقصر، كانت الحديقة والقصر يعجان بالنشاط والحركة والخدم، وكان أحمد يمشي مع ولي في الحديقة.

ولي: الراجل اللي هيهربك أكيد هيطلب منك فلوس كتير.. اعرف من دلوقت راجي مش هيطلب منه يقلل لك الفلوس.. يعني تدور لك على طريقة تدبر بيها الفلوس.

رد أحمد بتوتر: هشوف هشوف.

ولي: عربية التبن هتيجي بعد ساعة.. اركبها تقرب لك المسافة لأنك مش هتلاقي ركوبة هنا بالساهل.

بعد فترة ظهر على ولي النفور وأنه يشم رائحة سيئة جدا ومنفرة.

ولي: إيه الريحة دي.. مش تستحمى؟

أحمد: أنا لسه مستحمي.

ولي: أمال ريحتك زبالة ليه؟

وفي تلك اللحظة سمعا أصواتا صاخبة بعيدة وتجمهر عدد كبير من

الخدم، فتوجها نحوهم ليعرفا سبب الإزعاج والأصوات العالية الصادرة من هناك، اخترق ولي وأحمد الجموع فوجدا أحد الخدم رافعا قدميه على كرسي ونائما على الأرض وشخصا آخر يُهوّي على قدميه التي تبدو محمرة جدا وقد وَجَم وجه أحمد مما يرى.

أحمد: فيه إيه؟

أحد الخدم: راجي مده على رجله.

نظر أحمد بذهول وهو يعود للوراء فارتطم بحورية.

حورية: لسه قاعد؟ انت اللي هتجيبه لنفسك.

ثم شمت رائحته: إيه الريحة النتنة دي؟ ده فار ميت.

مشي أحمد من المكان وكان كلما مر على أي شخص وضع الأخير يده على أنفه ونظر بقرف لأحمد الذي شم الرائحة السيئة المنبعثة منه ولم يفهم سرها فجرى صاعدا إلى حجرته.

– بعد مرور فترة من الوقت ذهب ولي للبحث عن أحمد في حجرته، فقد كانت عربة التبن وصلت ولا أثر لأحمد بالحديقة.

ولي: انت إيه اللي طلعك تاني.. عربية التبن اللي هتاخدك جت.

أحمد: نسيت المحفظة وقلت أقعد هنا أحسن.

ولي: إيه الريحة الزبالة دي؟

فرد أحمد بانفعال: استحميت 3 مرات.. ورشيت إزازة كولونيا

كانت في الحمام.. مش عارف فيه إيه؟

ابتسم ولي مكملا الحوار: واضح إن اللعنة بدأت تشتغل.

أحمد: يعني إيه؟ هفضل نتن كده؟

ولي: مش انت اللي قلت للست مش محتاجها.. يلا مش وقته.. انزل واوعى راجي يشمك لو شمك هيطردك.. خد الموبايل ده.. أنا معايا نمرته ومسجل نمرتي عليه.. لو احتجت لحاجة اتصل.. صوت الموبايل واطي هعملهولك فيبريشن عشان تحس لو اتصلت بيك.. وخد ساندويتش الجبنة ده.

ابتسم أحمد: ماشي.

فتح أحمد الحجرة ليخرج فرأى راجي بالخارج.

بذعر قال أحمد: راجي.. راجي.

ولي: انزل من الشباك.. ما قدامكش غير كده لو شمك هتبقى مصيبة.

تشبث أحمد وهو مستسلم بالشباك وركب فوقه كالحصان.

أحمد: أنا خايف أوي.

ولي: اتوكل على الله متقلقش.. متقلقش.

بدا الذعر والرعشة على أحمد الذي لم يكن موافقا على فكرة النزول من الشباك.

أحمد: هو لازم أروح النهارده؟ ما أروح لما تروح الريحة أو لما راجي ينام.

ولي: مش ضامنين هتروح امتى دي لعنة.. ومش كل يوم فيه عربية تبن.. اتوكل وانزل.. احدف نفسك وقول يا رب.

نزل أحمد مضطرا وتعلق بالشباك ومنها نحو فرعِ شجرة قريبٍ من الشباك لينزل عليه وفي أثناء نزوله سمع جلبة كبيرة عند الحديقة حيث قبض الخدم على الصبي الصغير الذي يسرق الفاكهة وجروا ذاهبين به لراجي.

أحمد بخوف: استرها يا ستار.

وقد كان أحمد في منتصف الشجرة حينما رآه أحد الخدم فظن أنه حرامي فانطلقت الأصوات: حرامي.. حرامي.

وأطلق الرصاص فنزل أحمد مسرعا من الشجرة ومنها نحو البوابة وهرب دون أن يلحقه أحد، فالجميع كانوا بالناحية الأخرى من الحديقة منشغلين بالصبي الممسك به وبعيدين عن البوابة. ركب أحمد عربية التبن التي ستحمله إلى أقرب مكان لعنوان الرجل الذي سيساعده على الهرب خارج البلاد، وطوال الطريق بدا على السائق القرف الشديد من رائحة أحمد لكن أحمد تصنع عدم الملاحظة.

وصلت السيارة به إلى موقف أتوبيسات فقال له السائق: هتنزل هنا وتركب أتوبيس 312 هيوصلك للشارع اللي انت عاوزه.

° ° °

وصل أحمد للعنوان المكتوب ودخل العمارة، كان السلم مظلما إلا أنه استكمل طريقه صاعدا للطابق الثالث حيث مكان الرجل فوجد الباب مفتوحا فدخل في حذر وتلصص فهو على دراية أنه ذاهب لمجرمين والوضع في كل الأحوال غير مطمئن بالمرة. وعندما دخل الشقة وجد سُلما للنزول داخل الشقة، وهذا السُلم يوصّل لشقة بالأسفل وكان هناك فتحة كبيرة من خلال السلم رأى منها ما يحدث بالأسفل حيث اجتمع مجموعة من الرجال وقد أمسك كل منهم مسدسا وفي يد أحدهم جنزير من حديد وعلقوا رجلا بالسقف من رجليه، وظلوا يضربونه بالجنزير.

الرجل المعلق: صدقني ماعرفش.. أنا قلت اللي أعرفه.

قائد العصابة: مممممممممممم متعرفش حاجة.

نزع رجل العصابة من الكاسيت سلكه الذي يوصله بالكهرباء بحيث أصبح السلك متصلا بالكهرباء بفيشة من طرف وعاريا من الآخر، ووضع السلك في الحبل المتصل بالرجل المعلق.. فظل الرجل ينتفض وقد بدت عليه علامات الخوف والذعر، أما وجوه رجال العصابة فبعضهم ظهر عليه التألم من تخيل الكهرباء وآخرون صامتون.

وأشار الرجل الأول في العصابة لأحدهم فأحضر دلو ماء، فظل الرجل المعلق ينتفض ويصرخ: لا لا.

وقد ألقى دلو الماء على الرجل المعلق، فسمع صوت كهرباء وصراخ ثم

هدأ الصوت وقد مات الرجل إثر الصعقة، وقتها كان أحمد لا يزال يراقب وهو غير مصدق وفي حالة هلع وقد ارتطم بكرسي خشبي وهو يحاول الفرار من المكان فتنبه لوجوده أفراد العصابة واندفعوا نحوه، ليتخلصوا من الشاهد على جريمتهم الذي بدوره جرى خارجا من الشقة.

صعد أحمد إلى السطوح حيث لم يستطع النزول لكونهم بالطابق الأسفل منه وسيتلقفونه وهو نازل وقد أغلق باب السطوح خلفه إثر صعوده وظل يقفز هنا وهناك متحيرا ماذا يفعل فوجد سطح العمارة المقابلة قريبا فقفز إليه وحاول النزول من سلم العمارة لكن باب السطح كان مغلقا فاضطر للنزول من منفذ المنور عبر المواسير ودخل أحد البيوت من خلال شباك، وبعدها بفترة فتح أفراد العصابة باب السطح فلم يجدوا أي أثر لأحمد لا على السطوح ولا ملقى في الشارع، فنزل أفراد العصابة الشارع للحاق به فيما ظل أحدهم موجودا على السطح لعل أحمد يظهر فيقتله.

كان الشباك الذي دخل منه أحمد مُطِلا على حمام إحدى الشقق، فاستند وهو يدخل منه على التواليت ومنه إلى طرف البانيو في حذر محاولا ألا يحدث صوتا، ثم خرج من الحمام في حذر محاولا استكشاف الشقة التي دخل بها ومخارجها وأين يوجد أفراد الأسرة، وكان في غاية التوتر والتردد عند الخروج فعاد مرة أخرى في رعب للحمام وظل يحدث نفسه وهو يشجع نفسه للخروج من الحمام- هتدخل بسهولة هتلاقي أكيد صالة في نهاية الطرقة يمين أو شمال ومنها للباب الخروج عادي.. كل بيوت مصر كده.. يلا

يلا.

وكان يعصر في يديه وينهج بصورة كبيرة من الخوف فهو مضطر للتقدم فلن يظل بالحمام حتى يدخل أحد أفراد الأسرة ويصافحه بالداخل.

توجه أحمد يمين الحمام ليجرب حظه، وكانت الطرقة التي مر بها طويلة، تجاوز خلالها إحدى الحجرات ثم وجد نفسه بعدها في الصالة وأمامه رجلٌ مصوبٌ مسدسا في وجهه ومرتدٍ ملابس بيتية يبدو أنه في الخمسينات وأنه صاحب الشقة.

صاحب البيت: اقف جنبه انت كمان.. انتو كام واحد؟!

بذهول أحمد: أنا أنا... كانوا الناس بيجروا ورايا.

الشاب الآخر: ده معايا.. ولعلمك في ناس تانية فأحسنلك تسيبنا نمشي بهدوء.

أحمد بهستريا وهو يقفز: الله يخرب بيتك.

كان الشاب الآخر في أوائل الثلاثينات أسمر قوي البنية ويبدو عليه الثقة في ذاته.

صاحب البيت: أنا من حقي أضرب أي حد فيكو بالنار.. القانون في صفي.

أحمد بذعر: نار إيه!! أنا ممكن أرجع تاني الحمام.. ما تزعلش نفسك.

واتجه أحمد صوب الحمام، فصوّب صاحب البيت المسدس نحوه.

صاحب البيت: اقف عندك.

وقد تشتت صاحب البيت عن الشاب الآخر الذي انتهز الفرصة وضربه بقدمه فتفلت المسدس منه ومسكه ففزع الجميع مرة أخرى، وبعدها أخرج الشاب من إحدى الحقائب الموضوعة على الترابيزة حبلا وناوله لأحمد وقد بدا لأحمد أن هذا الشاب لص وكان يسرق المنزل، لكن لم يكن هناك بديل سوى سماع كلامه.

اللص: خد الحبل.. اربطه.

صاحب البيت: انتو هتعملوا إيه؟

أحمد: الله يخرب بيتكو.

اللص: اربطه.. خلص بدل ما أضربك بالرصاص.

أحمد: اهدى اهدى.

صاحب البيت: هتعملوا إيه؟

أكمل أحمد ربط صاحب البيت وهو يرتعش تحت تهديد السلاح وما أن انتهى حتى بدأ الشاب الآخر بجمع أشياء من المنزل ووضعها في حقيبته، ليتيقن أحمد من استنتاجه وأنه يساعد لصا.

اللص: شيل الشنطة دي يلا بسرعة قبل ما ييجي حد يلا.

حمل أحمد الحقائب في استسلام لينتهي من كل هذا الهلع والجنون

الذي يحدث له ثم توجه للخروج من باب الشقة.

اللص: لا من باب المطبخ تعال.

دخل اللص به المطبخ ونزلوا عبر السلم الضيق مسرعين وكلاهما في حالة من التوتر، ثم لاحظ أحمد وجود أفراد العصابة بالشارع، فتسمر مكانه.

اللص: إيه فيه إيه؟ يلا العربية هناك مش بعيد.

أشار أحمد على أفراد العصابة: هيقتلوني.

اللص: خليك هنا هجيب العربية وآجي.

ذهب اللص مسرعا وأحضر السيارة وهي عبارة عن سيارة نصف نقل ووقف بظهر السيارة عند فتحه الباب الذي سيخرج منه أحمد، فقفز أحمد بالسيارة مسرعا وقد ألقى بداخلها الحقائب وهرب اللص به سريعا لكن بعد أن لمحه أفراد العصابة.

° ° °

صعد أحمد مع اللص شقته، بعد أن سلّم اللص لرجال موجودين بالقهوة أسفل بيته كل المسروقات التي جلبها. وبيت اللص موجود في حي شعبي وأنس بعث الطمأنينة في قلب أحمد بعد هذا اليوم العجيب، ولكن ما أن فتح اللص باب شقته حتى صرخ أحمد: إيه ده مين الراجل اللي هناك ده؟

فأخرج اللص مسدسه وتأهب ودخل في حذر وهو ينظر هنا وهناك

وهو مشهر مسدسه لكنه لم يجد أحدا.

اللص: ادخل ادخل متقلقش واضح إن يومك كان صعب.

دخل أحمد واتجه اللص للثلاجة الموضوعة بأحد الأركان بالصالة الصغيرة التي أمام مدخل البيت وأخرج زجاجة ماء وشرب ثم أشار لأحمد إن كان يريد الشرب، كانت الشقة غير نظيفة وتنم على أنها شقة شخص يعيش بمفرده وليست شقة العائلة، بسيطة الفرش والمستوى، شرب أحمد وأخرج اللص زجاجتي مياه غازية وفتحهما بأسنانه وأعطى واحدة لأحمد والأخرى له.

اللص: انت مين؟

أحمد: فقري من ولاد الجزمة اللي كل ما يدخلوا حتة يطلع لهم مصيبة.

اللص: لازم الدنيا تقلبك شوية لحد ما تجمد.

أحمد: يا أخي عالم الإجرام ده مليان حكم.. بقالي يومين بستحمى حكم.

ثم نظر أحمد بتمعن نحو الحائط وقال: أنا شايف حاجة هناك بتتحرك.

اللص: انت بتاخد حبوب هلوسة؟

أحمد: لا حظي الفقر وقعني في عجوزة ماتت من ميتين سنة..

بتربيني في شوية النعم اللي حيلتي.

اللص: انت كلامك غريب أوي.. انت اسمك إيه؟

أحمد: أحمد، وانت؟

اللص: اعتبر اسمي شهم.

أحمد: عاشت الأسامي.

شهم: هخش أستحمى.. خد راحتك.. عموما البيت مفيهوش فلوس زي ما انت شايف.. اللي بسرقه بديه أول بأول للرجالة بره.

دخل شهم للاستحمام وترك أحمد بالصالة يستجم قليلا ويشرب زجاجة المياه الغازية، ومن وقت لآخر كان أحمد يشم نفسه وهو سعيد ومنطلق لزوال الرائحة النتنة عنه، لكن المشكلة أنه كان مراقبا من أحد أفراد العصابة الموجود بأحد الأسطح المقابلة لشقة شهم فى محاوله منهم لإطلاق الرصاص على أحمد والتخلص منه ، وكان أحمد قد لاحظه بالفعل لكنه لم يبال لظنه أنها تهيؤات كالمرات السابقة فهو لم يعد يثق في عينيه. ظل غير مبالٍ بالأمر يشرب المياه الغازية ويغنّي، إلى أن دخل شهم فلاحظ رجل العصابة بالمصادفة فاندفع نحو أحمد وألقى بنفسه وبأحمد على الأرض.

شهم: انت مجنون مش شايفه؟

أحمد: أنا افتكرتها هلاوس زي اللي فاتت.

شهم بتوتر: لازم نشوف طريقة تخرج بيها من هنا.

زحف شهم على الأرض ورفع يده حيث مفتاح النور فأغلقه وظل يراقب الوضع في حذر إلى أن قطع انتباهه أحمد الذي ظل يضحك بشكل هستيري، وشهم في حالة ذهول مما يحدث من أحمد.

شهم: انت اتهبلت.. بتضحك على إيه؟

أحمد: شايف اللي بيلعب على الحيط؟

شهم: انت أكيد اتجننت.

وفجأة توقف أحمد عن الضحك وأخذ ينصت جيدا ثم قال: أنا سامع دوشة ولا دي برضو تهيؤات.

شهم: دي القهوة اللي تحتنا.. ثم سكت شهم برهة وزحف على بطنه حتى وصل إلى درج بدولاب فى الصاله ففتحه وأخرج منه مسدسا.

شهم: هفصل سكينة الكهربا بتاعة المبنى كله.. تعال ورايا.

فصل شهم الكهرباء عن المبنى بالكامل فانطفأت الأنوار، وأظلم الشارع لكون إضاءته شبه الأساسية من خلال القهوة التي أظلمت، ونزل أحمد وشهم من الشقة وبعدها أطلق شهم رصاصتين في الهواء فجرى كل من في القهوة، وهرب هو وأحمد وسط هذا الازدحام من الناس دون أن يميزهم أحد أو يتعقبهم أفراد العصابة، بعد مضي فترة وصلوا لشارع جانبي آمن فبدأ شهم في جمع حجارة وزلط من الأرض وصنع عبا من قميصه ووضعها فيه وكان أحمد يتابعه في تعجب.

شهم: اعمل عب.

أحمد: ليه.

شهم: يلا يا عم... وصنع أحمد عبا من قميصه ثم وضع فيه شهم الزلط.

شهم وهو ينهج: بص بقى كل ما تلاقي حد مريب يظهر قصادك احدفه بزلطة في عينه من اللي معاك.. لو قال آي يبقى حقيقي وتتصرف وتهرب.. لو ماتكلمش يبقى تهيؤات.

بعد دقائق مرت بجانبهم سيارة نقل فجرى وراءها شهم وتشبث.

شهم: اعمل زيي.

وتشبث كلاهما في السيارة.

شهم: أنا مش هقدر أكمل معاك.. افضل راكب العربية دي لحد ما توصلك لمكان بعيد بيمر فيه مواصلات.. وانت أكيد هتعرف تتصرف بعدها.. معاك موبايل؟

أحمد: آه.

شهم: رن عليا **01125483**...

أخرج أحمد الموبايل الذي قد أعطاه إياه ولي ورن على شهم.

شهم: كده معاك نمرتي.. لو احتاجتني في أي حاجه كلمني.. وأنا هبقى أطمن عليك.

فرد أحمد باهتمام وفي عينيه نظرة شكر: انت بتساعدني ليه؟

صمت شهم برهة ثم أجاب بحزن: تقصد عشان حرامي هساعد الناس ليه؟ لما تغلط ما تقفلش الباب تماما وتعيش مع غلطك بس.. خلي الباب موارب عشان في يوم تعرف ترجع.

ثم قفز شهم من السيارة النقل تاركا أحمد يكمل طريقه وحده.

* * *

وصل أحمد قرب القصر وقد انحنى ظهره بشكل عجيب وأخذ يعرج وهو يمشي ومن آن لآخر يقذف زلطة ثم يوجه أذنه تجاه الزلطة الملقاة ليسمع إن كان أحد يتبعه أم لا، وعلى بوابة القصر قابل الرجل الذي يطلي السور.

أحمد: هو ده مش كان رمادي؟

رجل الطلاء: راجي قال الرمادي وحش، البني أحسن.

أحمد بتفهم: آه.

وظل يمشي داخل الحديقة بظهره المحني حتى مر في طريقه أمام روز التي بدا عليها أنها ستعلق فباغتها أحمد: ولا كلمة... ششش.

صعد أحمد حجرته وتحمم وجلس في السرير وقد أحضر له ولي صينية طعام بها فراخ وأرز وخضار فجلس يأكل بنهم وهو يتحدث مع ولي.

أحمد: كان يوم أسود.

فرد ولي وهو يضحك: وضهرك حصل له إيه؟

أجابه أحمد وفمه ممتلئ بالطعام ومع ذلك ينهش ورك الفرخة دون رحمة: أنا ماشي لا بيا ولا عليا لقيته بقى كده.. صدقت العجوزة رجل البومة لما قالت ما بشوفش.. كان يوم أسود لما قلت ما احتاجتوش.. أصالحها ازاي أنا؟

ثم وضع ملعقة طعام أخرى في فمه وأكمل: بس فيك الخير يا ولي.. النهارده كان محتاج أكلة متينة زي دي.. بيني وبينك انتو مأيحين أوي صراحة يعني.

ضحك ولي ثم قال: وهتهرب ازاي دلوقت.

أحمد: أنا رحت له عشان أهرب هرب دمي.

فجأة سمعوا صوت راجي من الخارج يزجر أحد الخدم، فوضع أحمد صينية الطعام بذعر على رجل ولي ونزل تحت البطانية وهو يشخر في تصنع للنوم، فخرج ولي من الحجرة تاركا إياه لينام وذهب إلى راجي، وعلى الرغم أن راجي وولي كانا يتحدثان بالخارج إلا أن أحمد قد سمع حوارهما الذي دار بصوتٍ عالٍ:

راجي: الحيوان ده عمل إيه؟

ولي: ما أعرفش يعمل حاجة؟

راجي: عشان نحس.. من بكره طالما قاعد في القصر يشتغل أي حاجة في الزريبة.

* * *

في صباح اليوم التالي فجرا وعلى غير عادة ذهب أحد الخدم وأيقظ أحمد ليذهب للعمل معهم حسب تعليمات راجي، ولم يكن أحمد قد استيقظ في هذا التوقيت قط إلا أنه استسلم بعد سماع اسم راجي، ونزل الحديقة وكانت مهمته وضع الفحم في أجولة ونقلها للمطبخ ولباقي الأماكن التي تحتاج فحما في القصر فظل يضع الفحم في أجولة وهو مستاء وكان ظهره لا يزال محنيا من الأمس إلا أن عينه قد ذهبت منها الهلاوس، وقد كانت روز من وقت لآخر تختلس النظر لأحمد وهي تنشر الغسيل في زاوية بالحديقة لكن لم يحدث أي حوار بينهما، وبعد فترة نزل ولي الحديقة وذهب لأحمد.

ولي: تمام أهه.. اتعلمت بسرعة.

أحمد باستياء: مممممممممممم.

ولي: على فكرة راجي عاوزك تبقى ساعة ولا اتنين تقعد تقرا له قبل النوم.

أحمد: وأرضعه بالمرة.

ولي: مش متأكد هسأله وأقولك.

روز بجدية متحدثة لأحمد: يلا يلا وقت الفطار لو فاتك مش هتلاقي لقمة لحد المغرب.. الفطار في الناحية التانية في الجنينة.

ذهب أحمد للجهة الأخرى بالحديقة للإفطار وهناك وجد صفين من

الخدم واقفين فوقف خلفهم ووقفت روز توزع أطباقا فارغة عليهم، كل منهم يأخذ طبقا ويقف بالصف، وأمامهم توجد طاولة كبيرة عليها قدرة فول يمر كلٌ واحدٍ بطبقه الفارغ فيملأ له الواقف أمام قدرة الفول طبقه، ثم يذهب لآخر يعطيه رغيفا أو اثنين حسب الطلب ثم يأخذ بيضة من الصينية الكبيرة، وإذا تجرأ شخص وأخذ أكثر من هذه الحصة يعاقب، أخذ أحمد حصته وجلس في الحديقة على الأرض في زاوية بعيدة عن جميع الخدم الذين جلسوا في جماعات يأكلون معا، وقد لمحه عدنان الذي ظل يرمقه بنظرات مريبة، وبعد الإفطار انطلق الجميع في العمل حيث وقف أحمد يحمل أجولة بطاطس وينظف الحديقة بعد أن انعدل ظهره من الانحناءة وعلى وقت المغرب سُمح لهم بكوب من الشاي، ثم بعدها وقف يطلي سور الحديقة مع رجل الطلاء حيث أمر راجي بتغيير لون السور إلى الأحمر. وقد احتك أحمد أكثر من مرة بروز خلال اليوم والتى كان يرمقها بنظرات كره كلما أوكلت إليه عملا في حين اختلفت هي معه فأصبحت تتحدث معه بشكل اعتيادي كعامل بالقصر.

* * *

بعد الانتهاء من وصلة العمل المضنية خلال اليوم والغداء وخلافه ذهب الجميع للاستراحة، وكذلك أحمد الذي ما أن انتهى من كل أعماله وتحمم وقرر النوم مبكرا حتى غير راجي له كل خططه، وطلب من أحد الخدم أن يبلغ أحمد أنه يريده أن يذهب إليه في الحجرة.

وقد ذهب أحمد لغرفة راجي التي كان بابها مفتوحا كالعادة فطرقه ودخل.

راجي: امسح جزمتك يا حيوان.

لم يكن أحمد يرتدي حذاء، فقط يرتدي شرابا في قدميه إلا أنه عاد بلا مبالاة ومسح قدميه ودخل وقد ظهر عليه الإرهاق الشديد والنومُ يغالبُه لكنه كان يحاول أن يجبر نفسه على الاستيقاظ راغما.

راجي: هات لي الكتاب اللي على المكتب هناك.

ذهب أحمد وأحضر الكتاب لراجي الذي كان جالسا على الكرسي الهزاز الذي بجوار المدفأة والبعيد عن المكتب والصالون الصغير، وقد كان بجوار راجي كرسي آخرُ هزازٌ جلس عليه أحمد، وبدأ يقرأ في استياء شديد لراجي لكنه مضطر.

* * *

في آخر الليل رجع أحمد لحجرته منهكا وكلُّ جزء في جسده يؤلمه للغاية، مما جعله غير قادر على النوم سريعا، فتمدد على السرير ناظرا للفراغ مفكرا فيما آل إليه وفي هذه الرحلة الصعبة التي يمشي فيها قُدما، وتساءل هل كان بقاؤه في بيته أصلح؟! فالسجن بالتأكيد أرحم من راجي، أم أن راجي كالسجن؟ ولكنه سجنٌ يستطيع الخروج منه، إنه محاصر ولا يعتقد أنها آخر أزمة في عمره فيتحملها ويهنأ بعدها، بل إنه يعلم أنه سيقع في مشاكل أخرى بعدها، فمنذ كان صغيرا اعتاد على وقعات وعثرات وقليلا ما

عرف الراحة، وأثناء استغراق أحمد في التفكير تنبه إلى أن الشباك يُفتح وقد ظهرت يدٌ بها سكين فهب جالسا فوق السرير، فقذفه أحدهم بسكين وبقوة وقد استطاع أحمد الإفلات من السكين فلمح ذلك المصوب الذي نزل سريعا، ونزل وراءه أحمد ليلحقه بعد أن أخذ السكين.

نزل أحمد من القصر والتف ليصل لموضع شُبّاكه فوجد الرامي قد نزل من فوق شجرة وجرى في الحديقة فلاحقه أحمد بسرعة شديدة وجرى كلاهما بأقصى قدرته إلا أن أحمد كان سريعا جدا بحكم أنه رياضي قديم ولعيب كرة ذو نفس طويل ولياقة بدنيه استطاع بها اللحاق بالرجل وهدد أحمد الرجل بالسكين وكشف وجهه الملثم فاتضح أنه الرجل الذي كان جالسا بجوار عدنان في الإفطار، ظل أحمد يضرب الرجل في ثورة كأنه يضرب القدر، يضرب الدكتور شكري وأهل المرضى وراجي والعجوز وقدره.. كل شيء، بذل وسعه كله في الضرب.

أحمد بصراخ: عاوز مني إيه.. إيه؟ ليه بتعمل ده.. ليه؟

الملثم: راجي هو اللي قال لي.

أفلت أحمد الملثم فجرى وظل أحمد جالسا مكانه مذهولا وقد أفلت السكين أيضا من يده، جلس مفكرا لا يدري أين يذهب فليس لديه مأوى وإن تركهم قد يقبض عليه وإن بقي قد يؤذيه راجي أو يقتله، إن السؤال الملح على ذهن أحمد بشدة هو «لِمَ يريد راجي أن يقتله؟»... بعد برهة لمح شيئا مشتعلا من بعيد فذهب ليرى ما يحدث حيث الأرض الجدباء فوجد العجوز

جالسة أمام النار.

أحمد بغيظ: انت هنا يا حاجة؟ منورة.

العجوز: تسلم يا ضنايا.

أحمد: ولما أنا ضناكي بتعملي فيا كده ليه؟ هو أنا ضنا من الحرام؟

العجوز: أنا عملت حاجه يا بني؟

أحمد بانفعال: إيه اللي ما عملتيهوش.. مرة ريحتي ومرة عيني ومرة ضهري.. تقصدي إيه بالحاجات دي هو أنا ناقص؟

العجوز: كانت مقايضة وانت اللي قررت إن اللي ما شفتوش تبقى ماحتاجتوش.. وأنا قررت أشيل عنك اللي مش محتاجه.

أحمد: ده كان كلام يا حاجة.. هو بالكلام؟

العجوز: أنا ما اختارتلكش انت اللي اخترت ومفيش رجوع.

ثم أمسكت بكوبَين من المياه ومدت يديها بهما لأحمد: دي كوباية مية بسكر ودي كوباية مية بملح تشرب أنهي؟

أحمد بقرف: منك مش عاوز.. إنما إذا كان لازم هاتي أم سكر أهي تحلي الأيام شوية.

العجوز: وإيه يضمن لك إن أم سكر مفيهاش سم؟

ثم صمتت قليلا وأكملت: لسه ما اتعلمتش.

بدأت الشمس في البزوغ واختفت العجوز، ومع اختفائها سمع أحمد

صوتا غريبا يحدّثه: هتحس بإيه لما حد يقول لك مش هتعيش أكتر من أسبوع؟ هتقتل لك الأمان؟

صعد أحمد الحجرة وهو مغتم مفكرا فيما يفعله، ثم وجد نتيجة ورقية معلقة فأخذ منها ورقة وأخذ قلما كان في أحد الأدراج وبدأ يكتب في الورقة.

راجي بعت راجل يقتلني.. المكان ده خطر لكن معنديش غيره..

عدنان - حورية - طريق إسكندرية - روز بلوة.

- وما أن انتهى حتى وضع الورقة في صرة الذهب التي كانت أعطتها له العجوز وعلّقها في رقبته لتكون دليلا على قاتله إن قُتل وقد أخفاها تحت ملابسه، ثم نزل المطبخ باحثا عن سكين يأخذه قبل أن يصحو الخدم، ظل يبحث في المطبخ الكبير بين الأطباق حتى وجد واحدة فأخذها، وانطلق خارجا من المطبخ ففوجئ بروز أمامه.

روز بتعجب: صباح الخير.

فرد أحمد بذعر: بسم الله.

فردت روز بانفعال: فيه إيه مالك؟

أحمد بتوتر: مفيش.

روز: انت هنا ليه؟ صاحي ليه بدري؟

أحمد: أنا بطلت أنام.

ثم خرج وتركها متعجبة لحالة ذعره، وما أن خرج حتى بدأت تعد صينية مكتظة بألوان كثيرة من الطعام والفاكهة وتُرمس من الشاي وبعدها تركت روز المطبخ وذهبت لحجرتها وقد أخذت معها الصينية.

كانت حجرة روز حجرة جميلة جدا ومريحة كحجرة ولي، فضلا عن أن لونها بمبي وكلها أنوثة، فتحت روز دولابها المكتظ بملابس غالية فارهة جدا ورائعة الذوق ومختلفة كليا عن الملابس التي تلبسها دوما، وظلت تبحث بين الفساتين والملابس وتفاضل بينها، وتجرب طَقْما وتقف أمام المرآة ثم تجرب آخر وظلت على هذا الحال حتى استقرت على فستان لونه روز ووضعت بعض المساحيقَ على وجهها بطريقة خفيفة.. فقليلا من زبدة الكاكاو الحمراء وقليلا من الشادو على جفنَي عينيها لونه روز فأصبح شكلها بديعا، ثم أخذت صينية الطعام وذهبت لحجرة أحمد لتعطيه إفطاره في الحجرة كي لا ينتظر مع الخدم، وقبل دخولها حجرته وقفت أمام مرآة بالطرقة تتأكد من هندمتها وطرقت باب حجرة أحمد ودخلت، وقد رآها ولي قبل دخولها حجرة أحمد وكان متعجبا من تغيّر شكلها واهتمامها غير الطبيعي بإحضار طعام لأحمد على الرغم من أن راجي نبه أنها لا تخدم أحدا.

دخلت روز في استحياء وشعور بالأنوثة الغامرة ووضعت الصينية على طاولة صغيرة، وقالت في خجل روز: جبتلك الـ...

فقطع كلامها صدمتها من بكاء أحمد الشديد وبلهفة إثر رؤيتها

لدموعه جرت نحوه وحاولت تهدئته.

فقالت روز بتأثر: انت بتعيّط؟ الدنيا كلها ما تساويش دمعة.

فرد أحمد بقرف: عارف.. أنا ما بعيطش.. هي عيني اللي نازل منها نافورة مية لوحدها.. بقى يا ربي يإما هلاوس يإما نافورة ميه نازلة من عيني عمياني.

روز وهي تضحك: عشان تصدقني لما قلت لعنة.

ثم أكملت بانزعاج: إيه ده؟!.. يعني مش شايفني؟!

أحمد وقد كان يحاول فتح عينيه: طشاش.

فردت روز باستياء: طب كُل يا خويا كُل.

أحمد: إيه ده مفيش طابور ولا إيه؟

فردت روز بحرج: لا ده كده النهارده.. كل وخلاص هو انت لازم تسأل؟

تركته روز وخرجت من الحجرة وعيناه لا تزالان تذرفان دموعا شديدة ولا يستطيع إيقافها على الرغم من المحاولات، وعندما يئس شرع في الأكل ففوجئ عندما مد يده لأحد الأطباق أن أصابعه قد التصقت ببعضها ولم يستطع إبعادها عن بعضها على الرغم من المحاولة الجاهدة، كان منظرها عجيبا فقد أصبحت يده قطعة واحدة، انتابته حالة شديدة من الغضب إثر ما اكتشف، فابتعد بغضب عن الصينية وأخذ يروح ويجيء في الحجرة

كالمجنون وهو ينظر لأعلى وينادي: إيه بقى؟ إيه؟

ثم بعد فترة من القفز والهياج بالحجرة هدأ واستسلم للموقف وعاد وجلس مرة أخرى بجوار الطاولة يرتاح من الهم وأخذ يزفر أنفاسه بقوة في محاولة لإلقاء ما بداخله من ثقل، ثم مد يده ليأكل فقد علم أنه لن يستطيع أن يحيا فقط على النفس الذي يأخذه والحمد لله أن اللعنة لم تكن في أنفه، مد يده بالكامل في الطبق وغرف غرفة كبيرة من الفول الذي بداخله ووضع الطعام في فمه فتلوّث وجهُه بالكامل وأخذت تنزل نقاط من الفول الذي على وجهه إلى ملابسه فنظر في المرآة التي بالتسريحة أمامه فوجد نفسه ملطخا تماما فجرب أن يأكل بفمه ومد وجهه نحو الطبق وأخذ يحاول أن يلعق منه ثم فجأة نظر لنفسه في المرآة فقد تبين له أنه قد تحول في تصرفاته لكلب، صَدَمَه ما آل إليه، كان منذ يومين إنسانا لديه عين ويد وظهر وحياة وإن كان هاربا، إلا أنه كان لديه أنه إنسان، ترك الطعام وقام ومسح وجهه في ملاءة السرير وخرج من الحجرة منفعلا، ومر بالحديقة خارجا من القصر فارتطم بروز التي لم يرَها بسبب ما في عينيه.

فنادته روز: انت رايح فين؟

لم يجِبها وخرج سريعا مندفعا خارجا من القصر وهو يحدّث شهم بالموبايل، وقد مر في الأثناء ببوابة القصر حيث وقف رجل الطلاء يطلي السور باللون الأسود حسب التعليمات الجديدة لراجي.

أحمد: ألو.. أيوه يا شهم أنا عاوز أقابلك.

شهم: ماشي بس مش هينفع في بيتي عشان اللي بيجروا وراك.. بص هقابلك في شارع سكة الشابوري.

أحمد: هي العصابة ممكن تئذيك؟

شهم: رجالتي يقطعوا اللي يقرب مني.. أنا بس خايف يراقبوك ويستفردوا بيك فخلينا في الأمان أحسن.. مستنيك.

أحمد: أنا في الطريق.. سلام.

وما أن خرج من القصر حتى جلس أمامه في انتظار سيارة التبن فقد أخبره السائق في المرة السابقة بموعد مجيئه مرة أخرى للقصر.

* * *

وصل أحمد لسكة الشابوري في انتظار شهم وما زالت عينه على حالها تذرف دموعا، وبسببها كانت نظرات الناس متجهة نحوه طوال سيره لكن دون تعليق يوجه من أحد، إلى أن دخل شارع كانت فيه امرأة عجوز تبيع فجلا فما أن رأته حتى وضعت يدها على صدرها وقالت: يا حول الله يا بني.. الزمن اللي بيعيط فيه الرجالة.. ربنا يزيح عنك قادر يا كريم يا بني لا حول ولا قوة إلا الله.

وصل شهم الذي علم بما في أحمد من التليفون وأخذه سريعا وهو مستحٍ من منظره الباكي إلى شقة مُهرب يعرفه شخصيا ومحل ثقة، جلس كلاهما في الصالة بانتظاره حتى يخرج من عنده بمكتبه وخلال انتظارهما

بالخارج كان شهم يتحدث مع أحمد عنه.

شهم: أهه الراجل ده مات على إيده نص شباب المهاجرين.

فرد أحمد بذعر: وانت جايبني أكمل الفرقة؟

شهم: وليه التشاؤم ده؟ ما النص التاني من الشباب عن طريقه بردو سافر واتنغنغ.. هي مخاطرة ويا صابت يا خابت.. بس انت وضع تاني.

أحمد: ليه؟ لما يشوف دموعي هصعب عليه؟

شهم: ده على أساس إن اللي قبلك ما عيّطوش؟ لا يا فالح.. انت جاي بواسطة يعني معمول لي حساب.. بس امسح دموعك أحسن فضحتنا.

بدا على أحمد اضطرابه واحتياجه للحمام: الحمام.

شهم: حمام تاني.. هو انت إخراج من كله؟ هيجيلك جفاف.

أحمد: اللي هيجنني مش باين له إسهال ولا إمساك.

ذهب أحمد للحمام ودخل شهم للمهرب المكتب، وكان المهرب رجلا فى الأربعينات رث الملابس بدين الجسم ويبدو من طريقه كلامه أنه نصف متعلم، وقد جلسا فى انتظار خروج أحمد من الحمام، وجلسا في انتظار خروج أحمد، وكان شهم قد أبلغ المهرب بما يريده أحمد واتفقا على كل شيء وما أن دخل عليهما أحمد حتى وجد أن شهم قد اتفق وأصبحت الأمور مرتبة.

المهرب: احنا كده اتفقنا.. بس لازم تعرف إنك في كل الأحوال شايل

كفنك على إيدك.. آه أنا مش مغسل وضامن جنة.. اللي عاوز يروح للخواجات بيدفع نص عمره يتمنى.. ويدفع عمره كله واحنا بنسفره.. يعني انت ونصيبك يا تسافر بالسلامة يا بردو الله يرحمك وبالسلامة.

أحمد: الله يطمنك.

المهرب: ده عشان شهم بس لازم أكون تمام معاك.. وأقولك الفولة.

أحمد: طيب دقيقة أروح الحمام.

ووقف للذهاب للحمام ثم تراجع وقال: خلاص خلاص مش عاوز.

المهرب: الله يقويك يا بني على دخلات الحمام دي.. الخلاصة هتهرب ولا إيه.

أحمد باضطراب: هروح الحمام.

نزل أحمد وشهم من عند المهرب بعد أن اتفقوا على كل الأمور واستقر أحمد قليلا بعد أن فكت أصابعه من التصاقها وجفت إلى حد ما عيناه من الدموع، وعلى بعد خطوات من بيت المهرب لمح شهم رجلا من أفراد العصابة التي كانت تراقبه للوصول لأحمد، فركب شهم الموتوسكيل سريعا وخلفه أحمد وجرى من العصابة من شارع لآخر ثم من زقاق لآخر، حتى وصل إلى قبور وسط البلد فدخل بينها حيث أسعفه الليل ومعرفته بالمكان أن يهرب من العصابة واختبأ هو وأحمد وسط القبور، وظل شهم يراقب الوضع وهو مختبئ ومعه أحمد في هذا المكان المظلم تماما والذي لا يسمع فيه إلا

صوت الريح والكلاب البعيدة.

أحمد: فيه حد.

شهم: مش باين.. بس خلينا شوية لحد ما الجو يستقر خالص.

أحمد: أنا مش قادر محتاج حمام.

شهم: وده وقته؟

أحمد: وهو بمزاجي!!

شهم: إداري في أي حتة وخلص نفسك.

تحرك أحمد نحو سور بعيد لكن ما أن وصل حتى جرى وراءه عدة كلاب بعدوان ونباح شديدين مما دفعه للجري سريعا حتى وصل لشهم الذي ظل يبعد الكلاب عن أحمد وهو متعجب من تعقبهم له وشراستهم نحوه، وصل أحمد للقصر مع شهم بالموتوسيكل ونزل على مقربة من القصر، وما أن نزل وتركه شهم حتى بدأت الكلاب تنبح في الصحراء وتهرول نحو أحمد بشدة فدخل أحمد حديقة القصر ومنها إلى الزريبة للاختباء، لكن إثر دخوله الزريبة بدأت الأغنام والبقر في الصياح وخبط أبواب الزريبة ومنهم من استطاع كسر باب المكان المخصص له وجرى وراء أحمد الذي خرج من الزريبة لاهثا وروز ترى ما يحدث وهي مذهولة تماما، ثم جرى ودخل القصر فقابله كلب ولي الذي ظل يجري وينبح وراءه فجرى أحمد منه نحو حجرة راجي ودخلها وأغلق الباب، وكان راجي وولي بالداخل.

راجي: امسح جزمتك يا حيوان.

فخلع أحمد حذاؤه سريعا في قفزات بهلوانية وقذفه من النافذة وهو يجري في الحجرة بهيستريا، وكلب ولي من الخارج كان يدفع باب حجرة راجي بشدة يريد الدخول.

أحمد بهستريا: الحيوانات كلها هاجت عليا.. بتجري ورايا.. كله بيجري.

نظر راجي من النافذة فوجد حيوانات كثيرة في الحديقة قد خرجت من الزريبة لكن روز تتعامل معهم بهدوء ولا يتعدى أحد من الحيوانات عليها أو على الآخرين.

راجي: غريبة ما روز والباقيين واقفين ومفيش ولا حيوان هجم عليهم.. انت فيك إيه؟

ولي: يااااه وانت بقى...

أحمد بذعر: خصمك النبي ما تبدأ محاضرة، وخبيني.

أشار راجي نحو باب خلف ستارة بالحجرة يصل من خلاله لبدروم.

راجي: ده بيودي لبدروم يلا.. استنى خد الشبشب ده بدل ما تطلع لي ورجلك قذرة.

أخذ أحمد الشبشب ونزل فيما وقف راجي مستاءً جدا منه وقال لولي: قذر أوي صح؟

فرد ولي بضحك: ربنا يعافينا.. ده كفاية اللي هو فيه.

وقد قضى أحمد ليلته في البدروم مرعوبا تلسعه البرودة لكنه يتحملها راغما، وقد بدأ يطمئن بسبب الهدوء الذي ساد القصر فلم يعد هناك صوت صياح للحيوانات، لكنه فجأة رأى خيالا فظل مغمضَ العينين متصنعَ النوم متلصصَ النظر وقد مات في جلده من الترقب وتساءل: تُرى ماذا يكون؟ هل هو قاتل جديد من جهة راجي أم شيء من ناحية لعنة العجوز؟ فجأة سمع شخصا يحدثه: انت متشنج ليه؟

ففتح عينيه فوجدها روز فقذفها بشبشب راجي قائلا.

– أبو شكل أهلك.. هو أنا ناقص؟

* * *

في اليوم التالي خرج أحمد من البدروم وقد عادت الحيوانات هادئة من ناحيته وذهب ليبحث عن روز ليعتذر لها عما بدر منه قبل أن تخبر راجي فظل يبحث عنها حتى وجدها أخيرًا في زاوية من الحديقة تنشر غسيلا وقد تقدم منها بحياء وتنحنح لتشعر بوجوده فنظرت نحوه ثم عادت لعملها دون أي اهتمام بوجوده.

أحمد: أنا آسف.

نظرت نحوه باستياء ثم أشاحت وجهها عنه واستكملت نشر الغسيل وقالت دون النظر له.

روز: آسف... وبتقولها كده وانت فخور؟

فرد أحمد بغيظ: وأنا لو فخور هعتذر ليه؟!

نظرت إليه ثم ردت بعصبية: وتقلع اللي في رجلك ليه من أصله؟

أحمد: ما أنا قلت إني آسف.

روز: اعتبرني لا سمعتك ولا شفتك وانت بتعتذر.

أحمد: طب طالما عامية بقى يبقى أنا ما حدفتكيش بحاجة أصلا.. وبطلي تتبلي على الناس.

ابتسمت روز وحاولت كتم ضحكتها لكن لاحظها أحمد الذي ابتسم وظل يرجوها لتسامحه.

أحمد: والله ما تزعلي.. أنا بجد مش عارف أنا فيا إيه.. بجد تعبان أوي.. مش قادر أتحمل كمان إن ضميري يوجعني عشان حد.

فردت روز وهي تضحك: ماشي.

أحمد: أول مرة تضحكي من ساعة ما جيت.

فأجابته بقليل من الحزن: أنا قليلة الضحك.. وعارفة إن كلهم بيقولوا عليا عاملة زي أحف محروق ومشلضمة.. بس كل واحد فيه اللي مكفيه.

أحمد: أحف.

روز: آه.

أحمد: وده إيه ده!!

روز: إكمني رفيعة وكمان لوني أسمر وضاربة بوز.

أحمد بضحك: هي صراحة تركيبة زبالة..

فنظرت بغضب، فأكمل: بس حقيقي مميزة وحلوة لا وأكلك يجنن صراحة.. باين كلنا تعبانين.

بعد فترة دخل ابن سائق سيارة التبن وهو سعيد واتجه نحو روز قائلا:

الطفل: غمضي عينيك.

وقد أخفى خلف ظهره شيئا، فأغمضت روز عينيها ثم أخرج الطفل من خلف ظهره آيس كريم كان يخفيه وقال لها: فتحي.

فتحت روز عينيها وصرخت صرخة سعادة عارمة حينما وجدت الآيس كريم.

الطفل: حطيته في الكولمن وحواليه تلج عشان ما يسيحش.

تقبل روز الولد بسعادة قائلة: ربنا يخليك ليا.

ثم اقترب الطفل من أذنها هامسا: معايا كذا واحد كمان هحطهم لك في أوضتك تبقي تخبيهم بمعرفتك لاحد ياخدهم منك.. أنا هروح لأبويا بقى.

مشي الولد وفتحت روز الآيس كريم بشغف وسعادة عارمة، وفور رحيل الولد سألها أحمد عنه.

أحمد: مين ده؟

روز: ده ابن سواق عربية التبن.

أحمد: باين عليكِ بتحبي الآيس كريم.. أنا كمان بحبه أوي.

روز بخجل: أنا بموت فيه ومش ممكن أدي حد منه.. بس انت مش أي حد.

ثم تمد يدها بالآيس كريم: تاخد لحسة ولا أرمة؟!

أحمد بذهول: هه.

روز: أنا اللي هديك يا خويا بإيدي عشان متحفش.

ظلا يأكلان الآيس كريم معا وأحمد يكتم ضحكه بقدر الإمكان من تصرفاتها الغريبة، وأثناء وجودهما معا لمحهما راجي من بعيد فظل يراقبهما فترة ليست قليلة ثم مشي.

بعدما تركت روز أحمد ذهبت قاصدة حجرتها لم تكن تريد الذهاب للمطبخ أو الزريبة، لم تكن تريد أن تمارس أي عمل اليوم، إنها تريد الراحة تريد أن تنفرد بروز، فتحت دولابها لترى الفساتين الجميلة المعلقة به وبدأت تخرج بعضا منها وتضعه عليها وتنظر للمرآة ثم تلقي به على السرير وتجلب آخر وظلت هكذا حتى قطع خلوتها صوت طرقات راجي للباب فأذنت له بالدخول فدخل فوجد الفساتين على السرير والدولاب مفتوحا عن آخره.

راجي بابتسامة حانية جدا: ازيك.

روز: الحمد لله.

ثم اتجه بنظره نحو الفساتين وبدأ يقلب فيها بيده ثم قال: انت ليه مش بتلبسي من اللبس اللي اشتريتهولك؟ مش عاجبك؟

روز: مش عارفة.. تصمت قليلا ثم تكمل.. أنا اتحرمت كتير أوي.. فين وفين عبال ما بقى عندي حاجات زي دي.. بيتهيألي لو لبست حاجة منهم وباظت هحزن ولا كأن مات ليا حد.

راجي بحنان: اوعي تفتكري إن الحاجات اللي بنشيلها عندنا هي بتاعتنا.. الحاجة اللي بنستعملها هي بس اللي بتاعتنا.. متعيشيش محرومة من الحاجه اللي اشتريتهالك كفاية تتحرمي من اللي الدنيا مدتهوش ليكي.. حاولي تحترمي حياتك وتخافي على كل لحظة لتكون محطوطة في المكان الغلط.

ثم التف ليخرج من الحجرة لكنه عاد مرة أخرى ونظر لروز.

راجي: كل فستان هتلبسيه هديكي مكانه فستان كمان.

فابتسمت بسعادة وابتسم لها هو الآخر وقال: النهارده يوم جميل.. مش كده؟

فردت روز بطفولة وهي تضحك: صح.

راجي: ابقي ودي الغدا بنفسك لأحمد.. غلبان أوي.

ابتسمت روز دون أن تجيبه ثم خرج وتركها في سعادة غامرة وقد أخذت تقفز على السرير وتقبل فساتينها.

* * *

5

في منتصف الليل استيقظ أحمد من نومه ونزل إلى الحديقة لا يدرك هل ما يفعله جنون أم ماذا ألمَّ به؟ لقد أصبح يؤمن بالأحلام، يفكر في اللعنات بل ويصدقها، لقد حلم أنه في وسْط بحرٍ هائجٍ، في منتصفه بالضبط، لم يكن يغرق ولم يكن بداخل مركبٍ ولكنه كان واقفا على البحر وأمامه دوامة والريح شديد والليل مرعب وأخذت تناديه العجوز وتطلب منه أن يأتي بأسرع وقت دون انتظار، عندها استيقظ من نومه ولبس ملابسه وذهب للأرض الملعونة وهناك عند الأرض وجد العجوز في انتظاره تستقبله بابتسامة واسعة.

العجوز: مجتش ليه امبارح؟

أحمد: أنا كنت بتنفض من الخوف.

العجوز: من النهارده لازم تيجي الأرض كل يوم، لو معملتش كده هيصيبك شرور أكبر.

أحمد: حرام عليكي أنا ناقص.. هو الكابوس ده مش هيخلص؟ هو خلاص كدا اتلعنت؟

راجي باهتمام: صحيح انت عمرك ما قلت لي انت كنت عايش ازاي قبل المشكلة دي.. أهلك.. حياتك كلمني عنهم.

كتب على جبهة أحمد (دا رايق) وقد ازداد استياءُ أحمدَ فهو لن يحكي قصة حياتِه الثانية بعد منتصف الليل لكنه لا بد أن يتحمل.

أحمد: زي أي حد عايش.. باكل وبشرب وبنام وبروح الشغل.

راجي: زي الحيوانات يعني.

انفعل أحمد وكتب على جبهته (أبوك يا شيخ) ثم قال أحمد له: هو احنا مش هنكمل قراية؟

راجي بضحك: لا خلاص.. أنا كنت عاوز أتكلم.. مش الكلام أظرف؟ بيعرف الناس على بعض.. غريب البني آدم اللي جواه أكتر من اللي براه.

أحمد بقرف: آه.

راجي وهو يضحك: ولو إني مستمتع النهارده.. لكن روح نام شكلك تعبان أوي.

أحمد على جبهته (تنام ما تقوم)، ثم ابتسم أحمد ابتسامة صفراء وقال: تصبح على خير.

وقد أشار له راجي بالذهاب وهو منفجر في الضحك على غير عادة وأحمد في حالة تعجب من راجي هذا اليوم، لكنه لم يقف ليستفسر فهو محتاج للنوم.

وفي طريق أحمد لحجرته صادف روز بالطرقة وكانت مرتدية فستانا موف رائعا وتزينت بمكياج وقد تعجب أحمد تماما حينما رآها فلم يعتدها بهذا الشكل وقبل أن يوجه أي كلمة كتب على جبهته (بقيتي مزة) لكنه لم يعبّر لها عما في نفسه فقط ابتسم لها وقال: تصبحي على خير.

ولم يبدِ رأيه فيما لبست وهي أيضا صمتت ذهولا من المكتوب على جبهته، وتركته يمشي واستكمل أحمد الطرقة ليجد عدنان أمامه فتبدلت جملة جبهته بـ(أعوذ بالله) وهكذا ظل كلما فكر في شيء كتب على جبهته.

* * *

في الصباح استيقظ أحمد من النوم مبكرا كالعادة ولكن دون أن يوقظه أحد ونظر على ذقنه المشعرة في الحمام وهو يفكر في الحلاقة لكنه فجأة لاحظ جبهته وقد كتب عليها (شكلك زفت) حاول مسح المكتوب على جبهته فوجده تحول إلى (يا لهوي) ثم فتح الحنفية وغسل وجهه أكثر من مرة ثم نظر فوجد مكتوبا (دي مصيبة).

أحمد قائلا لنفسه: يا لهوي اللي بفكر فيه بيتكتب على قورتي! هنزل ازاي دلوقت؟ الله يخرب بيت الأرض على العجوزة في سنة واحدة على دماغك يا راجي الفقر.

خرج أحمد من حجرته بعد محاولات مضنية لإيقاف هذه الفضيحة التي على جبهته فقد أصبح لا يملك سرا، لكنه لم يجد سوى حل مؤقت

لهذه المصيبة فقد وضع فوق رأسه كوفية كانت معه على شكل عمة بحيث تداري جبهته تماما، ونزل للحديقة ليمارس عمله اليومي والكل متعجب من مظهره وروز تكتم ضحكها وقد أصبح محط أنظار الجميع خاصة بعد أن تفلتت منه الكوفية ووقعت منه أكثر من مرة، فمرة وهو يحمل جوال البطاطس وكان مكتوبا على جبهته (الله يخرب بيتكو) وتفلتت ساعة الإفطار وكان مكتوبا (هربان من البوليس)، كان أحمد يحاول الاختباء طوال اليوم من العيون لكن الجميع كان يرمقه فكان أضحوكتهم.

وعلى الرغم من كل ذلك كان يومه كاليوم السابق.. عمل وطوابير طعام ولا جديد سوى جبهته وانتظاره لمكالمة شهم للانتهاء من تفاصيل الخروج من البلاد.

* * *

بعد انتهاء أحمد من العمل ونومه فترة استيقظ في منتصف الليل وأخذ يختار أيهم يذهب إليه أولا راجي أم الأرض الملعونة؟ فكلاهما لعنة وهو مضطر أن يذهب لهما، في النهاية اهتدى لأن يذهب الأرض أولا فالعجوز لعنتها أقوى وأشد، ارتدى ملابسه وتوجه إلى الأرض وجلس في انتظارها، لكن انتظارها طال لدرجة الملل فأخذ يسرح حينا ويغني حينا لكنه لم يجرؤ على ترك الأرض فقد حذرته من وابل اللعنات وهو قد استكفى، بدأ يتثاءب في ملل وما أن فعل حتى وجد يدا تُقدم له كوبا من الشاي فكانت هي العجوز.

أحمد بسعادة: يا حجوج فينك.. ده أنا مستني لما جتتي رصرصت برد.

العجوز: غصب عني اتأخرت كنت بشوف حكاية عجيبة بوقتي أنا تبقى لسه بتحصل إنما بوقتكو انتو يبقى مرت ومن زمان.. بس لعلمك الأحداث بتتكرر.

أحمد: هو زمنا غير زمنك؟

العجوز: الكون سر.. متستغربش من خالق الأكوان لو خلق كون جوا كون.. وخلق فوق حدود عقلك.

أحمد: وإيه اللي حصل؟

العجوز: قعدت طول الليل أدور على مخرج من زنزانة مع مسجون المفروض هيتعدم في نص الليل.. دي كانت آخر ليلة ليه والملك اداله فرصة لو قدر يهرب من السجن مش هيعدمه.

أحمد: وهو يقدر يهرب؟

العجوز: الملك كان مأمّن له طريقة لو لقاها يقدر يهرب.. قعد يحفر في الحيط. وينزل من نفق على سرداب وكل الطرق مسدودة لحد ما جه المعاد وافتكر إن الملك كذب عليه لما قال له إنه سايب له وسيلة يقدر يهرب من خلالها.

أحمد: وكان فيه بجد؟

العجوز: دَيْما فيه.. تخيل كان سايب له باب السجن مفتوح!! بس احنا ديما بندور على الطريق الصعب.. دَيْما نتوقع إن الوصول لازم له مشقة مع إن أحيانا بيبقى الحل سهل وقدامنا بس بنسيبه.

أحمد: يمكن.. بقول لك يا حاجة إلهي يستر على ولاياكي أنا اتجرست كل ما بفكر في حاجة بتتكتب على قورتي.. معندكيش وصفة ولا توصية حتى عليا.

العجوز بقرف: الفجر قرب وعندك معاد مع راجي هسيبك أنا.. ميعادنا بكرة.

واختفت العجوز وتعجب أحمد من كونه انتظرها كل هذا الوقت ولم يحدث شيء مُهم. ما سر طلبها أن يأتي للأرض؟ ما النفع؟ هل جاء ليسمع أقاصيص وحكايات الماضي؟ لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يمتنع عن الحضور فيكفي ما يعانيه، ومضى سريعا نحو القصر ليلحق بموعد القراءة الخاص براجي، لكن عند دخوله القصر وجد الناس في البهو على غير عادة، وحركة سريعة غير طبيعيه ذهابا وإيابا لبعض الخدم، ولم يكن يدري ما السر إلى أن سمع مجموعة من الخدم يتحدثون بعضُهم لبعض.

حورية: واحنا مالنا ما يموت حتى.

خادمة 2: الله يحرقهم على رأيك.

فجأة وجد روز صاعدة على السلم مسرعة وفي حالة توتر فذهب

للاستفسار منها.

أحمد: إيه راجي بيموت؟

فردت روز بغيظ وهي تكمل صعودها مسرعة: إن شالله انت.

أحمد: أمال فيه إيه؟ ما تقولي بقى.

روز: ولي تعبان جدا.

أحمد بفزع: ولي!

أسرع في خطواته نحو ولي ملهوفا كأنه يوم مرض والده، ذلك اليوم الذي كان فيه الجميع في البيت متوترين ومشدودين، فالأب مريض وبعدها... إنه لا يريد أن يتذكر ما حدث الآن، فقط يجري بنفس القدر من الرعب نحو حجرة ولي وكأنه سيمنع القدر إن كان هناك شيء محتوم على ولي.

دخل أحمد الحجرة ومعه روز فوجد ولي نائما وبجواره راجي جالسا ممسكا بيده كطفل متشبث بأمه، لم ير أحمد راجي في هذا الذهول من قبل لقد كان لاهيا عن الجميع لا يرى أحدا، لا شيءَ أمامه سوى ولي ويده التي يطبق عليها قدر طاقته كي لا تفلت منه وتذهب، لقد أصيب ولي بهبوط شديد وقد حذره الطبيب من بعض الأطعمة لكنه لم يكن يهتم بحالته المرضية فهو مريض بالقلب والسكري، يا له من جبل! كل هذه الأمراض لديه وهو البشوش الوحيد في المكان، جلس أحمد بعيدا عن سرير ولي وإن كان يريد أن يحتضنه لكنه خشي هذا المتشبث الذي يكاد يَخلع قلبَه من جسده ليضعه ولي ليفيق ويضحك مرة أخرى، عينا راجي تؤكدان أنه كان

يبكي بشدة لكن تجمدت الدموع في عينيه بعد طمأنة الدكتور له الذي حضر سريعا إثر مكالمة لاهثة من راجي.

خرج الجميع للنوم وذهبوا حتى روز وأحمد وظل راجي مستيقظا بجوار اليد المتشبث بها، لم يرضَ أن يذهب بل لم يحرّك يده ليأكل أو يشرب إنه مُصر على أن يظل على جلسته ممسكا بيد ولي، ناظرا في وجهه منتظرا أن يفتح عينيه ويتكلم، مر الليل بأكمله طويلا على المنتظر الذي لم تغفل عيناه، حتى روز وأحمد لم يناما ليلتها وإن كانا بحجرتيهما، ومع التوتر قامت روز تنظف، فهي كعادتها عندما تغضب تلهي نفسها في أعمال المنزل..

وبعد سويعات بدأت الستائر تلمع بنور الشمس في حجرة ولي، لعلّها هي الأخرى تفتقده لكن لم يطل انتظارها فقد استيقظ وفتح عينيه لكنه لم يرَ الشمس كالعادة أول يومه بل وَجْه راجي الذي ابتسم والدموع تنهمر من عينيه إثر تنبهه لاستيقاظ ولي.

ولي بابتسامة متعبة: خفت أموت فنضطر نفترق.

راجي: انت قبل ما تروح هتاخدني معاك.. أنا بستخبى من الدنيا فيك.

ربت ولي على كتف راجي ثم أغمض عينيه لينام مرة أخرى عندها أغمض راجي عينيه هو الآخر ونام على كرسيه واضعا رأسه على السرير فوق يدي راجي.

* * *

استقرت حالة ولي على المغرب وأكل وجلس قليلا مع أحمد ومع روز، كان يوما مشرقا بالنسبة لأحمد فقد وجد فيه حبا عارما ووجد فيه صحبة فلم يكن اليوم القصر بالنسبة لأحمد مجرد مكان يهرب فيه، بل كان مكانا به صديق قريب جعل القصر بيتا بدأ يكون مألوفا، فبيت الحبيب بيتنا.

ليلا ذهب أحمد أولا لراجي قبل الأرض، ذهب بعد أن ثبت عمامته جيدا خشية أن يرى راجي أي شيء مكتوبا على جبهته ولكي يستفسر: هل يريده ليقرأ أم أن الليلة الفائتة قد أتت على قوته وسيرحمه اليوم من ساعتي القراءة السمجتين؟ طرق أحمد الباب ومسح الحذاء جيدا ثم دخل.

أحمد: هنقرا النهارده؟

راجي: أكيد.. اليوم اللي يعدي من غير ما تتعلم فيه حاجة بتدفع تمنه سنين.

فذهب أحمد مستاء وأحضر الكتاب وجلس في المكان اليومي على الكرسي المتحرك بجوار الدفاية هو وراجي، وقبل أن يبدأ في القراءة بدأ راجي يتحدث وكأنه يحدث نفسه ناظرا للا شيء وكأنه يسرد ماضيه.

راجي بهدوء شديد: تعرف.. زمان كنت فاكر ربنا ده صعب أوي.. ميوصلوش له غير الأنبيا.. لحد ما أجبرتني الأيام إني أعرفه.. قريت واتعلمت.. واكتشفت إن الناس كلها بتدور على ربنا في الطريق الصعب.. مع

إنه سهل.. لو عرفته عن طريق جاهل هتلاقيه بعيد.. أبعد من إنك توصل له.. ولو عرفته عن طريق عالم هتلاقيه قريب أقرب من إنك تقدر تبعد عنه.. بس احنا بنحب نعرفه من الجاهل عشان نلاقيه صعب.. ونلاقي مبرر إننا مش قادرين نروح له.. تفتكر ده جهل مننا؟ ولا احنا اللي بنلاقيه بيقول لنا هو ربنا كده بنصدقه وخلاص؟ ومش بنحاول نتأكد منه؟ مش يمكن دقن عيرة ومش فاهم حاجه؟

ثم تنهد طويلا مكملا: أنا بدفع دلوقت تمن 40 سنة ما اتعلمتش فيها صح.

سكت راجي قليلا ثم قرّب وجهه من وجه أحمد كثيرا وأصبحت عيناه في عيني أحمد.

وقال له بتحدٍ وهدوء: بتكرهني؟

ارتبك أحمد من السؤال المباغت وظل صامتا وراجي ينظر في قوة وتحدٍ وقد ازداد اقترابا من وجه أحمد الذي حاول الرجوع للوراء لكنه لم يستطع الفرار من وجه راجي.

راجي: عارف أنا مقعد الناس دي كلها هنا ليه؟ عشان كل ما أشوفهم أفتكر إنهم بيعدّوا لموتي.. أفتكر إن آخرتي هبقى في التراب وإني قد إيه عشت مغفل ومستقوي بشبابي.. كأني هعيش عمري كله شاب.. متخيلتش إن الزمن هيعمل في وشي كل يوم حفرة ويقربني من الأرض غصب عني، مهما رفعت راسي لفوق غصب عني هتنزل في يوم الأرض.

ظل أحمد يسمعه في صمت وارتباك فوقف راجي بعصبية في حين ظل أحمد جالسا على الكرسي.

راجي بعصبية: عاوز تقول إيه؟ مخبي إيه؟

نزع راجي العمامة من فوق رأس أحمد فوجد مكتوبا على جبهته (مغفل).

راجي: آه مغفل، بس تفتكر انت نفسك مش مغفل؟

حاول أحمد أن يأخذ العمامة ويلفها حول رأسه مرة أخرى لكن منعه راجي بقوة فكتب على جبهة أحمد (انت حيوان).

راجي: وانت عمرك ما كنت بني آدم.. عشت عمرك كله لا بتساعد حد ولا مقدر نعمة.. بتقول كنت في بيت فقير؟ بس أنا بقى مكنش عندي بيت، كنت أتمنى البيت الفقير ده... بتقول إنك عشت من غير أب؟ وأنا عشت من غير عيلة عارف ليه؟ عشان لقيط.. مشيت ومكنش معاك تركب وانت رايح كليتك؟ وأنا مكنش حد عاوز يعلمني الكل كان عاوز ياخد مني.. عِشت خدام.

أحمد بانفعال: وبقيت حيوان.

مسك راجي في ملابس أحمد بغضب شديد فقال له أحمد برعب: ما أنا كده كده كله بيتكتب على قورتي.

رد راجي بقرف وقد ترك ملابس أحمد: بس هموت إنسان.. وخليك

فاكر ده.

ثم قذف لأحمد العمامة التي كان يلبسها فأخذها أحمد وهو مرتبك.

وأكمل راجي: غور اتخمد.

فكتب على جبهة أحمد (أبيح) ثم قام أحمد للانصراف فاستوقفه راجي بعد أن كان قد اقترب من باب الحجرة.

راجي: استنى، فتوقف أحمد واستكمل راجي: أنا قلت لك قبل كده إني هاخد مقابل خدماتي ليك.

أحمد: آه.

راجي: هتروح بكرة لواحد تجيب لي منه 300 ألف جنيه.. هو في بلد قريبة.. بس ليا فيها أعداء.. حضر نفسك بكرة.

أحمد: حاضر.. وقد كتب على جبهته (خدام أبوك).

خرج أحمد من الحجرة وهو مغتاظ ومرتاب من تلك الرحلة التي سيخوضها وهو هارب من البوليس، وراجي يدرك ذلك جيدا لكنه يطلب مقابل خدماته هذه الرحلة الغبية، حتى وإن كانت آمنة فهي غير واجبة لواحد قريب من الحبس، لكنه مضطر أن يطيع.

* * *

6

في صباح اليوم التالي قام أحمد وتحضر لهذه السفرة التي لم يكن يريدها إلا أنه لا بد أن يسمع بنصيحة ولي لا بد أن يتحمل خاصة أنه لم يتبق في جيبه سوى خمسة وأربعين جنيها وإن كان يأكل هنا بالسم إلا أنه يأكل، أما بالخارج فلن يجد اللقمة التي يلقيها له راجي مع الخدم.

طرقت روز باب الحجرة ودخلت لتتأكد من أن أحمد قد تجهز للسفر وقد لبست ملابس جميلة.

روز: صباح الخير.

أعطاها أحمد ظهره في لا مبالاة وغمغم بـ«صباح الخير» من دون نفس فقد كان أحيانا يرضى عنها وغالب الأحيان ينفر منها فهو يشعر أنها خيال راجي في المنزل، وأنها هي وتصرفاتها سمجة وفلاحة.

روز: خد.. ده العنوان بتاع المكان اللي انت رايح له.. تروح وتيجي بالسلامة.

ابتسم ابتسامة صفراء كمجاملة لها لكنه كان قد نسي أن يضع العمة

على رأسه فكتب على جبهته (رخمة أوي).

فأكملت روز بغضب: متتأخرش لأن راجي مش هيدخلك القصر تاني لو مفلحتش زي كل مرة.. وابقى غطّي الزبالة اللي على قورتك دي.

وقد وصل في الساعة الثانية عشرة المدينة، لكنه كي يصل للعنوان المطلوب لا بد أن يركب المعدية التي أشار عليه بركوبها الناس، كان منظره عجيبا في الطريق بسبب اللصق الطبي العريض الذي وضعه على جبهته، لكنه لم يبالِ لأن اللصق أضمن للستر من العمامة التي تقع وتفضح جبهته، بعد فترة ركب المعدية لكن ما أثار تعجبه الاستياء الشديد والذعر الذي يصيب كل من يراه، فهو لا يرى أن اللصق الطبي يثير الذعر لهذا الحد لكنه مضى في طريقه غير مبالٍ.

وفي المعدية كان الجميع يلتصق ببعضه مبتعدين تماما عنه ولا يريد أحد النظر له، الوضع أصبح شديد الغرابة وكان أحمد يتوقع أي شيء غريبا يحدث بسبب اللعنة.

بعد دقائق ركبت سيدة عجوز جدا المعدية ونظرت لأحمد بنفور شديد ثم بعدت عينيها عنه.

وقالت: ده ملعون ده ولا إيه؟ هو فيه خلقة بالعكارة دي؟

كان وجه أحمد قد تغير، أصبح قبيحا بشدة. وجهه يتدلى منه زوائدُ جلدية كثيرة تكاد تغطي وجهه كله، وهناك تقرحات وجلده شبه مسلوخ

ومنخاره منفوخ كان سيئ المنظر جدا، الجميع كان يبتعد عنه، صحيح أنه من الواجب عدم إيذاء الناس بالنفور لكن لم يستطع أحد بالفعل التعامل مع هذا الوجه الغريب المتقيح، ثم ازدادت المسألة سوءا فعطلت المعدية وهي في طريقها وازداد الضغط والتوتر ونفور الناس والشعور بالتطاير الشديد منه، وبدأ السائق في إصلاح المعدية وهو مستاء جدا وما أن وقعت عيناه على أحمد حتى نفث فيه غضبه كله.

السائق: يلعن أبو وشك الفقر.

وبدأت أصوات الناس تتداخل: آه والله فقر.. فقر.

وبدأت الأيدي تدفعه بغباء لترميه من المعدية إلى المياه التي لم تكن عميقة إلا أنهم أرادوا التخلص من هذا الشكل الشؤم وإخراجه من المعدية، كان أحمد يدافع ويصيح إلا أنه في النهاية لم يستطع التغلب على هذا الكم من البشر فوقع بالماء وبدأ يعوم للبر الآخر في استسلام نادبا حظه التعس والرحلة المشئومة.

وصل أحمد إلى البر الآخر لكنه وصل في اتجاه بعيد عن الذي تنزل فيه المعدية كي لا يخالط الناس، وصل إلى أرض فضاءٍ كبيرة تخلو من الناس وعلى مقربة منها مقابرُ.. صحيح أنه وجد أكثر من شخص خارجين من ناحية المقابر لكنهم أقل من العدد الموجود عند طريق المعدية، جلس أحمد قليلا فسمع همهمات وأصواتا قريبة، فخشي أن يقابله تجمع قادم من الناس وأن يحدث له مثلما حدث في المعدية، فترك المكان الذي كان فيه باحثا عن

مكان أأمن، لكنه عندما قام ليترك المكان لمحه رجل كان عند المقابر وبدا اهتمامه الشديد عندما رأى أحمد فانطلق وراءه يتعقبه، وظل أحمد يسير في الطريق وبقدر الإمكان يبتعد عن الناس حتى وجد قطعة أرض فضاء ومشمسة ولم يعد يسمع أصوات الناس فجلس يتشمس، وقد فرد ظهره على الأرض ونظر للشمس في سعادة وأمامه الماء وألقى بكل الهموم ناسيا راجي والسجن والعجوز، ثم شعر بعد فترة بالجوع فقام ليشتري بعض الطعام ويأكله وهو يستجم لكنه عندما اقترب من أحد المحلات انزعج منه صاحب المحل وظل يصرخ فيه ليمشي، بعدها حاول مرة أخرى أن يشتري أي شيء من طفل يبيع حلوى لكن الطفل جرى حينما نظر لوجهه، فاستسلم أحمد لكونه لن يجد طعاما، ورجع لمكانه ليكمل التشمس والاستجمام، وبعد نصف ساعة بدأ يسمع همهمات وأصواتا نسائية تعلو أكثر فأكثر، فبدأ يبحث عن مصدر الصوت باهتمام فوجد من بعيد مبنى من الخوص فاقترب منه ليرى ما وراءه فوجد مجموعة سيدات ومعهن أطفال يجلس بعضهن يغسلن صحونا في الماء وبعضهن جالسات مع بقية النسوة يغتبن ويلهين والأطفال بعضهم جالسون يقلدون والداتهم وبعض الصبية نزلوا الماء للعوم، وكأنهم في مصيف وقد رفعت كل امرأة جلبابها وهي تغسل الصحون والحلل في الماء إلى ما بعد الركبة بكثير وانحنين وكن في مواضع تُظهر من أجسادهن أكثر مما تُخفي، لقد أغراه المنظر كثيرا فقد شعر وكأنه في المصيف غير أن الفتيات لا يلبسن البيكيني يلبسن جلاليب مرفوعة، أخذ يتلصص عليهن أحمد في شغف على

الرغم من أنه كان يخشى أن يتأخر عن موعده فقد كان يريد أن يسافر قبل الليل لكن الفتيات والضغط الذي لاقاه أحمد الفترة السابقة جعله يتمتع بالنظر ولا يستطيع الإسراع بترك المكان، لكن لحظّه العثر لاحظته امرأة وبدأ السب واللعن من النساء له وبدأت الأصوات تعلو فجرى هاربا ولكن كان قد تجمع شباب واشتكت السيدات أحمد، فتسابق شباب القرية على اللحاق بذلك الغريب الذي يراقب السيدات ووجهه منفر كما قلن.

وأُمسِك بأحمد الذي ظل الجميع يضربه بشكل غير طبيعي وبهستيريا غريبة، ثم جاء رجل وحلق له رأسه تماما وقد مُزّقت ملابسه تماما فلم يستروه سوى بقطعة قماش من الأسفل كأنها جيب حريمي والفانيلة التي كان يرتديها أسفل ملابسه وزف في القرية وأحمد يبكي وينتفض ولم يستطع الإفلات منهم.

بعد فترة من الوقت ليست بالقليلة استاء الأطفال والشباب من هذا الغريب وتركوه يجري هاربا منهم بلا تعقب. ظل أحمد يجري ويجري ويجري مثلما لم يجرِ من قبل، حتى وصل لمكان خالٍ من الناس حيث منطقة مزروعة وبها شجر. جلس على الأرض لاهثا وأخذ يلتقط أنفاسه حتى وعى لنفسه فأخذ يبكي بحرقة شديدة فقد ذُلّ، بكى بنحيب وقد وضع رأسه بين قدميه، فقد لقي ضربا وإهانة مدة ليست بالقليلة ظل إثرها جالسا في هذه الأرض المزروعة بعيدا عن الناس فترة طويلة وحيدا يبكي مستحيا من نفسه لا يدري ماذا يفعل وهو عارٍ، لا يدري كيف يتصرف، ومع قرب الغروب

ذهب إليه الرجل الذي كان يتعقبه بعد أن أوجعه نحيب أحمد الشديد كل هذه المدة.

الرجل: انكشف الستر.

فرد أحمد وهو يبكي بحرقة وما زالت رأسه بين قدميه: إلا الستر أنا اتعريت.

الرجل: ما كنت بتتستر وبرضو بتفجر.

فنظر له أحمد: أنا عملت إيه لكل ده؟ ليه بالذات أنا؟

الرجل: محدش بيتفضح من أول غلطة.

أحمد: مقلتش إني اتظلمت.. بس كان.. كان... ما كل الناس بتعمل كده.

الرجل: انت بتشوف الناس بتغلط بس عمرك شفت قلب حد؟ مش يمكن بيغلط وقلبه بيتوسل إنه يقدر يبطل وده مخليه يتستر؟

أحمد بدموع غزيرة دون أن ينظر للرجل: بيوجع أوي لما تحس إنك مكشوف والكل باصص لعورتك.

الرجل: الأكيد إن النهارده لما اتاخد منك شيء خدت بداله شيء تاني.. ممكن يكون أهم.. اتبصرّت.

التفت أحمد له: صحيح انت راضي تشوف شكلي ازاي؟ هو شكل وشي اتحسن؟

الرجل بابتسامة: أنا ببص على قلبك.

أحمد: دي برضه البصيرة.

الرجل: الموت بصيرة تانية يا بني.

أحمد: الله أعلم هنشوف إيه هناك.. ده احنا هنا وكل ده جرى لنا أمال هناك إيه.

الرجل: كنت بقول زيك قبل ما أروح.

فرد أحمد برعب وقد وقف من جلسته وأصبح قبالة الرجل وجها لوجه: إيه؟

الرجل: غريب إن يجتمع حي وميت.. بس الكون كل وقت بحال.

حاول أحمد أن يجري فأمسكه الرجل، فقال أحمد بصراخ: انت طالع لي أنا ليه؟ عاوز إيه؟

الرجل: احنا كده كده موجودين وصوتنا طالع.. وبننادي على اللي رايح واللي جاي ومحدش بيسمعنا.. الغريب إني حسيتك سمعتنا لما كنت جنب المقابر وبسبب صوتنا قمت واستغربت أكتر لما لقيتك شفتني.. فجيت أستفسر منك.

أحمد: ما هي الولية بنت الكلب الله يحرقها السبب.

الرجل بقرف: سليط.

أحمد: جايلي من الآخرة تقبّح؟ هو انت من جهنم ولا إيه؟

الرجل: غريب ابن آدم بدل ما تفكر ليه شفتني بتقول اشمعنى؟

أحمد: هو حد يتحمل اللي أنا فيه؟ هو أنا بكلم جدي ده انت ميت؟

الرجل: وليه متستغلش الصدفة الغريبة دي؟ وتعرف اللي مفيش غيرك على الأرض يقدر يعرفه؟ أنا هديك الفايدة كلها.. بص.

وبدأ لحم وجه الرجل يتآكل وتحول لهيكل عظمي وسط ذهول ورعب أحمد الذي التصق بشجرة بالأرض الواقف بها، فاقترب منه الرجل والتصق به وهو يحدثه.

الرجل: بص بنبقى إيه في الآخر؟ بيقولوا على الجتة دي بعد كده رمة.. عرفت أد إيه انت مُبخت؟ لو كنت أنا أعرف زي ما انت عارف دلوقتي كنت إديت لكل حاجة حجمها الحقيقي.. عرفت إن الموت بصيرة حقيقية؟

ترك الرجل أحمد الذي ظل ينتفض. لم تكن تجربة هينة، قد تكون هذه بالفعل هي التجربة الاستثنائية التي لم يرَها أحد قبله، ولم يكن في ذهن أحمد سوى سؤال واحد. هل لا بد أن يجرب ليفهم الحياة الأولى والأبدية؟ أم أن القدر كان منحازا له فأعطاه نبذة عن الحقائق كاملة دون عناء تجربة؟ غريب ابن آدم يكره النصح ويلعن في الوقت ذاته من يتركه يقع دون نصحه، وكأنه لا يدري ما يريد، جالسٌ على جمر التسويف والرغبة.

لم تترك التجربة علامة لوقت طويل في أحمد فهو طبعه كطبع كل

بني البشر، فقد ترك التفكير بالرجل وأخذ يتلصص في الشوارع في الليل يبحث عن شيء يسرقه مبررا لنفسه أنها ليست سرقة فهو يريد الستر، وبما أنهم هم من خلعوا عنه رداءه فهم يستحقون أن يسرق رداء بدلا منه.

وكانت القرية هادئة جدا كطابع أي قرية إذا داهمها الليل، يدخل سكانها البيوت إلى صباح اليوم التالي، وقد وجد أحمد جلبابا وكلسونا رجاليا منشورا على حبال موجودة أمام أحد البيوت كان الجلباب باليا إلا أنه يستر، وبالفعل أخذه أحمد لكنه فجأة شعر بوخز ضميره المُصر على أن السرقة سرقة في كل الأحوال وغير مبررة، لكنه لم يستسلم لضميره وبدأ يحدثه: طب أعمل إيه؟ عارف إني سارقه بس بردو يرضي مين إني أمشي بجيبة ومفضوح كده؟

ثم فكر قليلا واستطرد: ربنا كريم هيسامحني.

ومد يده ليأخذ الجلبات ففتح صاحب البيت باب بيته فألقى أحمد الجلباب على الأرض، وخرج صاحب البيت وبدأ يتحسس الحبال ليأخذ جلبابه وقد ظهر على الرجل أنه أعمى عجوز، يلبس ملابس النوم وهي عبارة عن كلسون أبيض وصديري، وظل الرجل يتحسس الحبال ولا يجد الجلباب وهو متعجب.

أحمد: أهه الجلبية يا حج.

العجوز: كانت واقعة ولا إيه؟ ربنا يكرمك يا بني.. أنا كنت هلوص محلتيش غيرها.

ومرت سيدة تحمل حلة على رأسها: ازيك يا حج شعيشع.

شعيشع: تتمسي بالخير يا كوثر.

كوثر: يا لهوي على دي سحنة، تقولها وهي ناظرة لأحمد بقرف وتجري سريعا من المكان.

أحمد: كويس إنك مقرفتش من شكلي.

شعيشع: ساعات العمى بيبقى نعمة.

أحمد: تديني جلابيتك يا حج؟

شعيشع: محلتيش غيرها يا بني.

أحمد: بس أنا عريان.

شعيشع بفزع: عريان!

أحمد باستحياء: لا مش أوي.. ملفوف بحاجة كده زي جيبة.

فتتحسسه العجوز ليتأكد.

أحمد: لا متفهمنيش غلط.. مش عشان الجيبة قصيرة يعني.

شعيشع وهو يضحك: وعلى كده السمانة ملفوفة؟

ضحك أحمد هو الآخر ثم استطرد: أنا محتاجها بجد.

شعيشع: يا بني لو اديتك الجلابية هقعد متعري أنا.

أطرق أحمد رأسه وهو حزين يكاد يبكي ثم فجأة تذكر الصرة التي برقبته فأخرج الصرة وأخرج منها قطعة من النقود الذهبية التي كانت قد

أعطته إياها العجوز.

أحمد: خد الدهب ده.

شعيشع: ده تقيل أوي انت بتضحك عليا.. لا يمكن يكون دهب.

أحمد: نادي أي حد من أولادك يأكد لك إنه دهب.

شعيشع: يا ريت كان عندي عيال.. أنا عايش لوحدي... بس مصدقك يا بني لوكنت ناوي تسرق كنت خدت الجلابية من غير حاجة.. بس ده كتير أوي الدهب ده كله على جلابية قديمة زي دي.. دي مبهدلة أوي يا بني هو انت نظرك ضعيف؟

أحمد: الدهب مش عشان الجلابية.. ده عشان الستر.

ثم أخذ أحمد الجلباب ولبسه وأخذ شعيشع قطعة الذهب وهو متعجب.

شعيشع: انت غريب أوي.

أحمد: غريب وجعان وتعبان.. من الصبح كل ما أقرب من حد عشان آكل يهرب من شكلي الوحش.. يا إما يضربني بحاجة.. لا عارف أجيب لقمة ولا أستدل على عنوان «زهدي» اللي أنا رايح له.

شعيشع: والله يا بني معرفش زهدي ده.. بس عندي أكل.

ودخل شعيشع بيته ثم رجع بقماشة ممتلئة بالطعام وفتحها فوجد أحمد فطيرا رائع الرائحة والشكل واستبشر به وما أن مد يده حتى امتلأ

الطعام بالدود والحشرات.

أحمد: بايني مستهلش اللقمة.. الدود ملا الأكل.

شعيشع بتعجب: سرك كبير ورحلتك غريبة.. أنا آسف يا بني مضطر أمشي.

وقف شعيشع ليدخل بيته ثم قال لأحمد: قول يا بني، أمسيت لله ضيفا وضيف الله لا يضام.

وترك أحمد بيت الرجل والدموع تذرف من عينيه لا يدري أين يذهب ولا يدري متى ترفع عنه هذه الذلة وهذا الغضب.

* * *

بعد مضي فترة طويلة في البحث والمشي وأحيانا قذف بعضهم له ليرحل عنهم وصل لذروة الجوع لم يكن يدري ما يستطيع فعله إلا أنه وجد نفسه أمام مقلب زبالة وبغير وعي بدأ يبحث جاهدا عن شيء في القمامة ملقى لعلّه ينفع للأكل، ظل يبحث فترة إلى أن وجد كيسا به رغيف خبز فأخذ قضمة منه ثم جلس وأخذ يأكل وفجأة خطفت سيدة الرغيف منه.

السيدة بصراخ: يا حرامي.. يا وش البومة.

أحمد: دي بتاعتي أنا اللي جايبها.

السيدة: أنا باخد كل يوم زبالة من هنا... ودي كانت فيها بتمد إيدك على حاجة غيرك ليه؟

أحمد: أولا دي زبالة عمومية وبعدين دي لقمة من الزبالة مش مستاهله ده كله.

السيدة: ربك عالم بالحال... لو اللقمة دي ملهاش عازة مكنش الخالق أوجدها.. وأنا لو مش محتجاها مكنتش جريت عليها.. ثم إن اللقمة اللي مش عجباك دي طالما في زبالة وهينة سيبهالي.

أحمد: أنا تعبان وجعان هموت.

السيدة: حالك مش أسوأ من حالي وحال عيالي.. الناس بتستخسر الصدقة وتكرم الزبالة وتحط فيها بالكوم.

بدا على أحمد الحزن والجوع والتعب الشديد وتأثرت السيدة لمنظره فقالت السيدة: لو مش ورايا عيال كنت سبتهالك.

أحمد: انتي ممكن أي حد يرضى يديكي لقمة.. إنما الناس مرعوبة من شكلي.

السيدة: لو هلاقي غيرها كنت سبتهالك... أنا إيه اللي يخليني أتحمل أبص لشكلك ده إلا الشديد القوي؟

أحمد: هشتريها منك.

السيدة: ولما معاك فلوس تشتري لقمة من الزبالة ليه؟

أحمد: محدش راضي يبص في وشي ولا يكلمني غيرك.. بصي خدي الفلوس واشتري ليا أنا وانتي أكل. وأخرج لها أحمد قطعه نقود ذهبية.

السيدة: دهب!!

أحمد: معايا دهب ومش معايا لقمة ألحق بيها نفسي قبل ما أموت.. اشتري لينا أكل.

السيدة: محدش فاتح احنا في آخر الليل ودي بلد صغيرة كله بيقفل من المغرب.

أحمد: أنا هموت من الجوع.

السيدة: وأنا لازم أروح لعيالي.. الطريق هياخد للصبح ولازم أجيب لهم حاجه معايا ياكلوها.. تستناني أروح أجيب أكل من محل بعيد عن هنا بس هديهولك بكره عشان ألحق عيالي بأكل الأول.

أحمد: أكون مت من الجوع.

السيدة: هنعمل إيه.

أحمد: سيبيلي الرغيف.

السيدة: وعيالي؟

أحمد: خدي الدهب.

السيدة بذهول: انت مجنون؟ تشتري رغيف من الزبالة بالدهب ده كله؟

أحمد: الدهب مش هيحييني إنما رغيف العيش ده آخر أمل عشان أصلب طولي.

تأخذ السيدة الذهب وتعطي الرغيف لأحمد الذي أخذه بسرعة والتهمه في اشتهاء.

السيدة: ده دهب بجد!!

مشيت السيدة مبتهجة وتركت أحمد الذي لم يبالِ ولم يندم على قطعتي الذهب بل لم يفكر بهما من الأصل، فما أهمّه فقط هو الطعام والجلباب. لم يكن الطعام من القمامة ولا النوم وسطها ضمن الأفكار التي كانت قد تطرأ في فكره يوما لكنه مر بها، فالحياة دائما كالدوامات فلا تضمن خلو البحر منها ولا تضمن متى تظهر لك، فقط تظهر وفقط تصادفك وشئت أو أبيت هي الأقوى.

ما زال أحمد في مكانه متمددا يأكل ولم يستطع القيام أو التحرك نام في موضعه وقد أخذت قطة تعوي جوعا بجانبه فبدأ يلقي لها بعض اللقيمات، فمجرب الجوع يدري مدى مرارته ولا يستطيع أن يتخلى عمّن يمر بنفس حاله، خاصة إن كان لا يستطيع أن يطلب.. فرغ أحمد من طعامه وأغمض عينيه ونامت بجواره القطة ثم عاد وفتح عينيه مرة أخرى ونظر للسماء الزرقاء فقد رآها اليوم زرقاء، لطالما ظنها ليلا سوداء لكنها بحق زرقاء صاحبة فضل، وقال الدعاء الذي وصاه به شعيشع «أصبحت لله ضيفا وضيف الله لا يُضام» ثم راح في النوم، نام نوما طويلا كأنه دهر لم توقظه حرارة الشمس اللاذعة، نام أفضل مما كان ينام في حجرته التي في بيته وحجرته التي في قصر راجي الفاره، لم يوقظه سوى دفع طفل صغير له بقوة

شديدة ليصحو.

أحمد في ذعر: إيه فيه إيه؟

الطفل بسعادة: انت إيه اللي مقعدك هنا.. ده زهدي عامل عزومة فتة ولحمة لأهل البلد.. قوم خدلك نايب.. دي لحمة.

أحمد بفرحة وقد انتفض: زهدي وكمان أكل!

قام أحمد مع الطفل وظلا يجريان نحو بيت زهدي ليلحقا بالوليمة وفجأة توقف أحمد عن الجري متذكرا شكله المنفر الذي سيكرهه البشر وسيطرد بالتأكيد منه.

الطفل: وقفت ليه؟

أحمد: انت مش خايف من شكلي؟

الطفل: انت عبيط؟

كان شكل أحمد الطبيعي قد عاد مرة أخرى ولم يكن يدري الطفل عن أي شيء يتكلم أحمد، وقد فطن أحمد من تعجب الطفل أن شكله العادي قد رجع فأخذ يقفز في سعادة ويصرخ ويقبل الطفل.

أحمد: شكلي العادي رجع.. شكلي رجع.. أحمدك يارب.

الطفل: عبيط ده؟ ناوي تروح ولا إيه؟

أحمد: طبعا يلا على اللحمة يا عم.

جرى كلاهما في سعادة إلى أن وصلا لدار زهدي، فوجداها دارا بسيطة ولكنها كبيرة ولها فناءٌ كبير تراصت فيه طبليات عليها فتة ولحم

كثير وقد جلس كثير من الفقراء على الطبليات يأكلون في سعادة ونهم، وجلس أحمد على أحد الطبليات لكن الطفل لم يجلس فقد تأهب للخروج من الدار مرة أخرى.

أحمد: مش هتقعد تاكل.

الطفل: هنادي باقي الناس.. الناس نفسها تدوق اللحمة.

أحمد: على ما ترجع ممكن يكون خلص.

الطفل: لو قعدت والباقي مكلوش هيحزنوا حزن السنين.. دي البلد مليانة فقرا.. آكل أني وهما ينحرموا؟ وبعدين لو كنت فكرت كده مكنتش انت جيت وكلت.. أني لو جيت ولقيتهم خلصوا هقول لعم زهدي يجبلي مناب تاني وهو راجل طيب ومش هيحرمني يعني.

ثم جرى الطفل وترك أحمد الذي ظل يأكل بشراهة وجوع شديدين، كان يشعر بطعم الطعام بحق، بالأمس لم يكن يأكل طعام الصدقة واليوم يأكله بشراهة ممتنا له، أخذ أحمد وهو يأكل يجمع الأرز الذي يقع حول الأطباق على الطبلية ويقبله ويأكله على الرغم من أن الأطباق ممتلئة أمامه فلاحظه رجل من الموجودين.

الرجل: الخير كتير أهه.. بتاكل الفياضة ليه.

أحمد: هنتحرم الرزق إن مخفناش على الفضلة دي يا حاج.. لو ملوش عازه الخير ده مكنش ربنا خلقه.

الرجل برضا: فيك الخير يا بني.

أحمد: أمال الحاج زهدي صاحب البيت فين؟

الرجل: أنا الحاج زهدي!

أحمد بسعادة: أخيرا أنا جايلك من عند راجي.

زهدي: كمل أكلك وابقى تعالى جوه نتكلم.. هستناك في الاستراحة هناك.

فرغ أحمد من الطعام وذهب لزهدي في الاستراحة ليجلس معه ويأكل مما يوزع فهناك أرز باللبن وشاي وخير كثير، وكان زهدي في الخمسينات ويبدو عليه الصلاح والطيبة، لم يرضَ أن يكلم أحمد حتى يأكل ويأخذ واجب الضيافة عن آخره، لكن أحمد كان متعجلا فآثر أن يأخذ الحلو والشاي وهو يحدث زهدي ليستطيعَ السفر في نفس اليوم، وقد أعطى لزهدي الخطاب الذي بعثه راجي معه طالبا المبلغ.

زهدي: غريبة راجي عمره ما وثق في حد يجيب له فلوسه.

أحمد: حظ أهلي الفقر.

زهدي: متعرفش الخير فين.. لو عرفت الغيب كنت رضيت بالقضاء.

أحمد: يمكن.. لو مفيهاش تقل محتاج لبس.

أخذ أحمد ملابس من زهدي والفلوس وأوصله للمعدية وركبها.

* * *

7

ركب أحمد ووصل إلى القاهرة ومنها إلى القصر، وكان ذلك ليلا لكنه لم يستطع أن يصل للقصر فقد أصابته لعنة أخرى ابتلعت الأرض نصف جسده السفلي.. ظل متعلقا فترة طويلة في وسط الطريق إلى أن مر به رجل وظل ينظر لأحمد في تعجب شديد.

أحمد: لو مفيهاش مضايقة.. ربنا يكرمك، غرست في الأرض لو مفيهاش سماجة تسمح تشدني؟

الرجل بتعجب: انت ازاي شايفني؟ عموما أنا مقدرش أتدخل في عالم الأحياء.

أحمد: ميت حضرتك؟

الرجل: بإذن الله.

أحمد: ربنا يكرم.

ثم تركه الرجل وذهب وبعد فترة طويلة مر رجل بموتوسيكل وتوقف عند أحمد.

أحمد: ميت حضرتك؟!

فذعر الرجل وجرى بالموتوسيكل فظل أحمد يحاول إخراج الصرة التي انحشرت منه في الأرض وكان بها الموبايل الذي أعطاه إياه ولي واتصل به وحدثه.

أحمد: أيوه يا ولي... آه يا حبيبي والله أنا مكنتش فاهم رجلي بتغرز في الأرض ليه، بس بعد كده لاقيت نصي مبلوع.

ولي: دقيقة وهبعتلك حد انت قدام القصر على طول.

أحمد: آه يا حبيبي بس نصي تحت الأرض.. عموما يا ريت بسرعة لحسن أنزل كلي.

وبعد فترة وصل عدنان إليه ليحمله حتى القصر كي لا تبتلعه الأرض إذا مشي.

وقد حمل أحمد إلى غرفة راجي وكان ولي يكتم ضحكه من منظر أحمد.

راجي: كميلة أمه.. هو فيه إيه؟! كل يوم جاي لي بمصيبة.. مفيش حتة تستر فيها.

أحمد: انت أصلا لو قعدت طول عمرك تقدم لي خدمات مش هتساوي البلاوي اللي شفتها في يومين السفر دول.

راجي: المهم جبت الفلوس ولا لقيته مقتول زي كل نزولة ليك؟

أحمد: لا جبتها.

يضع عدنان أحمد على كرسي في غرفة راجي وهم أن يمشي فأمسك به أحمد.

أحمد: لا لا لا خليك ماسك الكرسي لاحسن الأرض تبلعني.

راجي: الأرض تبلع الكرسي ليه انت اللي عليك اللعنة لوحدك.. متزهقناش روح انت يا عدنان.

وأخذ راجي الفلوس من أحمد وعدها فوجدها سليمة.

راجي بابتسامة: تمام كده.

أحمد بتمتمة: على الله يتمر.

راجي: بتقول إيه؟

أحمد: ولا حاجة.

راجي: مممم، خسارة إن مبقاش اللي بتفكر فيه بيتكتب على قورتك.

أحمد: لو كان لسه بيتكتب كان زمانك قريت حاجات متتصورهاش بعد الرحلة دي.

راجي وهو يضحك: عموما انت كده تمام وأقدر أأتمنك على روز.

أحمد بقرف: هخدها هي التانية أوديها حتة؟

راجي: لا دي هتاخدها على طول.

أحمد بتعجب: أعمل بيها إيه؟!

راجي: تتجوزها.

أحمد بانفعال: إيه؟!.. لا انت بدأت تستعبط.

راجي: هديك 2 مليون جنيه ومعاهم روز تعيشوا ملوك.. روز نقطة ضعفي الوحيدة لو اتجوزتها هموت مطمن عليها.. أنا اختبرتك وحاسس إنك تؤتمن عليها.

أحمد: انت تطمن وأنا أولع؟ ما تتجوزها انت.

راجي بانفعال: انت اتجننت؟ روز دي زي بنتي.. بص بقى أنا قدمتلك خدمات عشان تقدملي مقابل لها.

أحمد بانفعال: أقدم لك خدمة مش جوازة.

راجي: يا روز.. يا البوليس.

ولي: استهدوا بالله يا جماعة ليها حل.

أحمد: ملهاش.. اشمعنى أنا آخد البت دي؟

راجي بانفعال: متقولش بت دي ملكة.

أحمد: طب بص أنا مستعد أتجوز ولي وبلاش روز.

راجي بانفعال: انت مش عاجباك روز.. انت!! أنا لو مكنتش كبير في السن، وخايف من الموت كنت استنيت لما ألقى اللي برقبتك يا حيوان.. روز... روز دي نعمة ربنا.

ولي: خلاص يا جماعة.. اهدى يا راجي وتعال معايا يا أحمد

أوضتي نتفاهم.

أحمد: طب هاتلي حد يشيلني.

فرد راجي بانفعال: شايف؟ شايف؟

أحمد: يعني هو بمزاج أمي.

– في حجرة ولي جلس أحمد مستاءً وغاضبا من هذه الورطة التي وضعه راجي فيها فإما روز وإما السجن بعد كل هذه المشقة.

ولي: روز بجد هايلة.. أنا مش فاهم انت زعلان ليه؟

أحمد: أنا مش فاهم.. انتو بتعملوا فيا كده ليه؟

ولي بغضب: انت ليه ديما متخيل اللي في إيديك وحش؟

أحمد: يعني راجي كاره الدنيا كلها اشمعنى حب روز؟

ولي: راجي.. ياه راجي ده أحسن بني آدم في الدنيا.

أحمد: هو أنا لسه بتعرف.. ده راجي.

ولي: راجي ده أكتر واحد اتبهدل في الدنيا دي.. مسألتش نفسك ليه راجي وأنا دايما سوا؟ راجي وأنا اتربينا في دار أيتام.. عشنا أيام صعبة أوي.. مسندناش فيها غير الأخوة دي.. هربنا بعد تعب وبهدلة في الدار... اغتصاب تلاقي من كبار لصغار.. قهر تلاقي.. حرمان سرقة.. خرجنا من الدار إيد واحدة... جعنا... اتبهدلنا... وراجي بعدها بدأ يعمل كل حاجة غلط تتخيلها عشان نكسب فلوس ونعيش.. في الأول كان بيحط مبررات للغلط... بعد كده بدأ ينسى يحط مبررات بقى يعمل وبس.. وفضل يغلط لحد

ما وسعت منه أوي وقلبه نشف أوي.. مبقاش جواه غير الخوف من الرجوع للوجع بتاع أيام زمان.. وكون ثروة كبيرة ساعده في تكوينها ست جميلة اسمها روز اتجوزها على الرغم من أنها كانت أكبر منه واشتغل بفلوسها.. وفضل يكبر وينجح... ونسي كل حاجه.. نسي البهدلة بس منسيش الخوف من الرجوع ليها ومنسانيش أنا ومنسيش بنت صغيرة عندها 10 سنين عرفناها أيام الفقر... كانت أمها جارتنا وحاطة بنتها في دار رعاية أطفال عشان أبوها ميت وجوزها مش عاوزها.. البنت كانت بتيجي من فترة للتانية وتتبهدل عند أمها تضرب منها ومن جوزها مكنش لها مكان لكن كانت مضطرة تفضل وتتحمل.. راجي اتعرف على البنت اللي كانت بتخاف تتكلم مع الناس كلها لكنها مع الوقت اتعلقت براجي اللي هو نفسه اتعلق بيها من كتر ما كان بيلاقي على جسمها وعلى وشها تعاوير من معاملة أهلها... وأول ما بدأ يغتني خد البنت وهرب بيها وسماها روز على اسم مراته اللي ماتت.. ورباها، بجد نقطة ضعفه الوحيدة في الحياة روز.

أحمد: بس عموما كل ده ميمنعش إنه زبالة.. يعني اتبهدل يقووم يعمل في الناس كده ليه؟

ولي: انت مبقالكش كام يوم في اللعنة بتاعة الأرض وهتولع.. ما بالك راجي اللي بقاله سنين ومش عارف يخلص من اللعنة.

أصيب أحمد بهستريا من الضحك وهو يتخيل ما يحدث لراجي.

أحمد: هو كمان بتطلع له الست العجوزة دي؟ هاها مسخرة.

وظل يضحك طويلا جدا ثم سكت مبهوتا واستطرد: يا لهوي يعني أنا ممكن أفضل سنين كده زيه؟

° ° °

بعد مضي النص الأول من الليل حمل عدنان أحمد إلى أول الأرض الملعونة راغما حيث طلب منه ولي، لكن عدنان أصر أن يضعه على أولها دون أن يدخل كي لا يُصاب هو الآخر باللعنة وجلس أحمد على الكرسي الذي أصبح ملتصقا به راغما كي لا تبتلعه الأرض، جلس في انتظار العجوز ليتوسل لها أن ترفع عنه اللعنة.

أحمد: يا ستنا اطلعي.. يا ست المقهورين.. ومعذبة المرتاحين.. بلاش تسوقي الدلال.. بقالي ساعة ملطوع تعبت.

تصل العجوز الأرض وتتوجه نحوه وهي تستند على جذع الشجرة وظهرها مثني وتمشي في بطء وهي تبتسم لأحمد وتشير له.

أحمد: وزة والله.

العجوز: رايق أوي النهارده.

أحمد: أيوه والله، خصوصا بعد اللي سمعته، إلا أنا ممكن أفضل في اللعنة دي طول عمري؟

العجوز: مش المراد من السحابة الأمطار، المراد منها الإثمار.. مش مجرد إنك تعرف تشوف اللي عندك يبقى كده خلاص.. لا، لازم تقدره وتعلّم غيرك ده.. عشان يبقى فعلا فيه ثمرة لمعرفتك.

أحمد بجنون: وأنا عرفت غلطي وبقول لك أهو.. عندي كله حلو ومرتاح.. أنا حلو ومرتاح.

العجوز: انت فهمت غلطك بس من جواك لسه تقديرك للي عندك قليل.

أحمد: يعني إيه؟! هفضل كده لحد ما أبقى مجنون، وأقعد أعذب في الناس زي راجي؟

العجوز: شفت أديك أهه بتعمل مصيبة تانية وممكن تصيبك لعنة كمان.

أحمد بفزع: ليه؟!

العجوز: لأن جواك زهو يدمرك.. شايف نفسك أحسن من الناس ومن حقك تقيمهم.. كلمة زي اللي قلتها دي هي اللي خلت إبليس إبليس.. لما اتكبر على آدم وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

أحمد بقرف: هو حد يقع في أرابيزك ويشوف في نفسه حاجه عدلة؟

العجوز: بذيء... يلا اتهد وروح نام.

أحمد: هستنى حد ييجي ياخدني.

العجوز: لا روح لوحدك الأرض مش هتبلعك ما تقلقش.

ثم تتركه العجوز وتمشي، ويقوم هو الآخر للنوم.

* * *

8

في صباح اليوم التالي تدخل روز المطبخ ومعها جردل مياه لمسح المطبخ فتجد أحمد داخل الثلاجة جالسا وقد فتح بابها وفي يده نقط يقطر قطرات ماء داخل فمه روز: إيه ده؟ انت قاعد جوا التلاجة ليه؟

أحمد: عطشان أوي من امبارح هموت وأشرب.. المية ألمسها ألقاها ساقعة أشرب ألقاها مغلية.. هموت على نقطة مية.. بؤي فأفأ وبردو لسه عطشان.

تضحك روزو ثم تلقي بجردل المياه الذي في يدها بالكامل لتمسح.

أحمد: بتعملي إيه يا مجنونه.. كل دي مية؟ ما طبعا هو انت متبهدلة زيي؟ بلاش ترحرحي أوي في المية ارحمي.

روز: متفلقنيش بقى.

أحمد بغتاتة: أفلقك؟

ثم ابتسمت وحاولت إصلاح ما فعلت بدلال.

روز: أفطرك؟

أحمد: هو صف الفطار بدأ؟

روز بابتسامة في خجل: لا انت ماتقفش معاهم أنا هحضرلك بنفسي.

أحمد بقرف: آه يا ختي اتنحنحي اتنحنحي.

وخرج من المطبخ تاركا روز في حزن لرفضه، ثم عاد مرة أخرى.

أحمد بإحراج: مش عارف راجعت نفسي ولاقيت إن ممكن تحضريلي.. حضريلي.

روز بسعادة: تحب تاكل إيه.

أحمد بنهم: ست سبع بيضات مقليين.. وأنجر فول بالزبدة ولبن ومربى وفطيرة.

روز بسعادة: من عيني.

أحمد: وطلعيهم لي على الأوضة.. بس داريهم من راجي.. عينه وحشة.

روز: حاضر.

أحمد: وماتنسيش شاي بقى والذي منه.. ها؟

روز: الذي منه إيه تاني.. كده انت جاي علينا بخسارة.

أحمد: انتي متعرفيش تكملي حاجة عدل للآخر؟ حضري على طول.. أطلع ألقى الأكل بعد خمس دقايق.. عشان ألحق أتغدى عشان خارج

على 3 كده.

روز: رايح فين.

أحمد: لا الرجالة ليهم أسرار انتي فاهمة ولا إيه.

روز: آه طبعا طبعا.. ثم تستطرد بفضول فين يعني؟

فيتركها ويمشي دون إجابة.

* * *

في الساعة الثالثة خرج أحمد من القصر لمقابلة شهم، وبعد أن وصل إلى منتصف مشواره وقف في الشارع مذهولا لا يدري لماذا هو هنا وفي أي مكان هو؟ أخذ يحاول التذكر وعصر ذهنه لكنه لم يتذكر تماما، فجلس إلى جانب من الشارع في حديقة لا يدري ما يفعل ولا لأي مكان يذهب، ظل على هذا الحال فترة طويلة فقد خرج من القصر العصر وحل الليل عليه وما زال في مكانه لم يتحرك، خَشِي إن تحرك أن يتوه ولكنه بالفعل لا يدري أي شيء، وأخيرا رن جرس موبايله فأجاب لعله يصل لشيء.

أحمد: ألو.

شهم: انت مجتش ليه لحد دلوقت؟

أحمد: آجي فين؟

شهم: انت بتهزر؟ مكان ما كنا المرة اللي فاتت عشان نشوف لك صرفه تهرب.

أحمد: أهرب!! إديني العنوان تاني.

وصل أحمد لمكان العنوان الذي أشار له به شهم وعندما رأى شهم لم يعرفه لكن شهم ذهب إليه وعرف أن ذاكرته قد حدث بها خلل ما مثل بقية ما يحدث له من لعنات، فأخذه وجلسا بالقهوة وشرح له المسألة برمتها، لم يكن أحمد مصدقا في البداية.. لكنه لم يكن لديه بديل.

شهم: مشكلة الذاكرة دي محدش عارف هترجع لك امتى.. هتعمل إيه على ما ترجع؟

أحمد: المشكلة إنه على كلامك بيروح مني كل شوية حاجة.. يعني ممكن في يوم أبقى قرد.

شهم: تبقى مصلحة.. ساعتها سهل نهرب قرد من البلد مش هنحتاج إجراءات.

أحمد: انت بتهزر.. أنا حتى مش عارف أنا ساكن فين وعلى كلامك هربان.. وفي عصابة هتموتني وميت بلوه ورايا.

شهم: أنا عارف مكان القصر هوديك المكان اللي هتركب منه.. بس خد بالك بكره هتروح لوحدك الصبح على 9 للراجل اللي هيهربك.. هتعرف تفاصيل المركب اللي هتهربك والمعاد وكل حاجة.. أنا مش هينفع أروح معاك بكره عندي مشاغل.

أحمد: حاضر.

ثم أخذ شهم أحمد ووقف به عند موقف للأتوبيسات وأخبره برقم الأتوبيس الذي يركبه وكتب له مكان القصر بالتفصيل ثم مشي وتركه، ظل أحمد جالسا في الشارع فترة يفكر في حاله، كانت الخواطر التي تجول في ذهنه أكبر من أن يفكر في الركوب ليصل سريعا إلى القصر فهو يخشى كل شيء الآن، وما الذي يجعله يأتمن أهل القصر عليه ليجري عليهم، إن أأمن مكان له الآن من وجهة نظره هو الشارع وهو أكثر مكان لا بد أن يقضي وقته فيه، فمن يدري ما قد يحدث له إن ذهب لهؤلاء الناس الذين لا يتذكر عنهم شيئا، بدأت أعداد الناس الموجودة في الشارع تقل جدا حتى إنه لا يجد أحيانا أناسا في الشارع لكنه لم يبال، ظل جالسا يحاول استرجاع ذاكرته ثم فجأة تحسس شيئا في صدره فوجد الصرة الموصولة بسلسلة في رقبته، فأخرجها وفتحها فوجد فيها قطعة نقود ذهبية والورقة التي دون بها ملاحظاته فوجد مكتوبا «الأرض الملعونة» إذن لم يكذب شهم في كلامه، ووجد أنه يخشى القتل وراجي ويخشى روز التي وراءها بلوة، واسم عدنان وحورية والعصابة التي تجري وراءه كل هذا جعله لا يفكر في التحرك من مكانه وإن كان النوم يغالبه إلا أن الخوف يقتل النوم فظل مستيقظا متحيرا وحيدا، مع الوقت بدأ يلاحظ أن أعداد الناس في الشارع تزيد على الرغم من كونها كانت قد قلت من فترة لكنه لم يبال، لكن الغريب أنه مع الوقت زادت أعداد المواصلات وأصبح هناك أطفال في الشوارع تلبس ملابس مدرسة وتحمل حقائب المدرسة ورجل يقف بسيارة فول، كان في أشد اندهاشه من

هذه المظاهر التي تحدث في أواخر الليل صحيح أنه فاقد الذاكرة لكنه لم يفقد الأهلية لينسى البديهيات.

تقدم نحو موقف الأتوبيس مكان الوجود الكبير للناس ولكنه ظل لا يدري ما يحدث، الأمور كلها حوله غريبة.

صاحب عربية الفول: مش هتشق ريقك بشقة فول.. صباحك فل.

أحمد: صباح!!

تصرفات الناس صباحية لكن التوقيت ليلي.

أحمد: الساعه كام؟

صاحب عربية الفول: تلاقيها 8.

أحمد باستحياء: صبح ولا بالليل.

صاحب عربية الفول: لا ده انت رايق واحنا في ساعة شغل.. تركه الرجل وأخذ ينادي أيوه الفول.

وتلهّى عن أحمد بالناس المتراصة حول عربية الفول، ثم وجد أحمد تلميذا مرتديا ملابس المدرسة ويحمل الحقيبة معه.

أحمد: احنا امتى؟

التلميذ: 8 وعشرة.

أحمد: يعني صبح ولا ليل.

التلميذ بقرف: بص أنا صاحي أصلا متعكنن.. يحرق المدارس على

اللي عاوز يعك ويتعلم، اتاخر.

ثم تشبث التلميذ بأحد الأتوبيسات وركب، وأحمد غيرُ مصدقٍ نفسَه لا توجد الشمس والمكان مظلم لكن كل المظاهر تؤكد أننا في الصباح، ثم تذكر موعد الرجل الذي سيقابله ليعطيه تفاصيل سفره، فجرى وركب ليصل في موعده فالساعة حسب قول الناس الثامنة والربع وموعده في التاسعة وسيعتبر الوقت صباحا حسب تصرفات الناس.

* * *

ما زال أحمد يرى الليل على الرغم من أن مظاهر الحياة تؤكد أنه بالنهار وكان قد ذهب وأخذ كل التفاصيل من المهرب ثم انطلق نحو القصر فلن يبقى طول أيامه بالشارع لا بد من مأوى، دخل القصر وهو خائف مما سيقابله في الداخل بسبب الورقة التي قرأ فيها ما يخشاه في القصر، وقابله في طريقه نحو القصر رجل الطلاء الذي يطلي السور بلون أزرق، ثم قابلته في منتصف الحديقة روز التي انطلقت نحوه في بشاشة غير معتادة وكانت ترتدي ملابس أنيقة جدا ولم تكن تقوم بأي عمل في القصر.

روز: صباح الخير.

أحمد: آه فعلا صباح.

لم يكن أحمد يدري مَن الشخصية التي أمامه لكنه كان قد اتصل بولي بعد أن أخبره شهم أن يفعل ذلك، فكان الجميع متفهمين لحالة ذاكرته.

روز: لسه ناسي كل حاجة.

أحمد: للأسف.

روز: أنا خطيبتك روز.

أحمد في نفسه: الورقة فيها روز بلوة.. شكلها يدي أمور بس الورقة تقلق.

كان راجي قد اشترى دبلة لروز وأخبرها أن أحمد قد طلبها منه وهو وافق وهي لم تعترض بل أسعدها الخبر، وتغيّر حالها كثيرا، فلم تعد روز التي تصر على القيام بأعمال البيت كلها على الرغم من رفض راجي، بل أصبحت هانم خلعت ملابس العمل تماما، واعتنت بنفسها ولبست الفساتين الجميلة التي أحضرها لها راجي.

صعد أحمد إلى غرفته وكان قد طلب من روز أن تحضر له عدة ترابيس وأقفال للباب وشاكوش ومسامير، كان مرتعبا ولم يكن يأمن لأحد بالقصر فهو لم يذكر ولي بالمرة في الورقة ولم يكن يدري سر عدم ذكره له، هل لأنه جيد أم ماذا؟ بل لم يكن يدري سبب كتابته للورقة أصلا، هل كان يعلم أنه سيفقد الذاكرة فكتبها؟

أخذ الترابيس من روز وبدأ يدقها حتى يؤمن نفسه، وقضى يومُه الأول في الحجرة لم يرضَ النزول منها، حتى طرقات روز لم يستجب لها وطرقات ولي، والجميع لم يضغط عليه لعلمهم بحالته ومدى الذعر الذي

وصل له، كان يفتش في كل مكان في الحجرة وظل اليوم بأكمله يتصنت على بابه خشية أن يكون أحد خلفه وينظر من ثقب الباب خشية أن يكون شيء يجهز له، في نهاية اليوم استسلم للنوم وقد فقد أعصابه من الانتظار والجوع ولم يحدث أن تعدى عليه أحد فنام بعمق شديد كالقتيل لم يصحُ سوى على طرقات روز الشديدة التي كانت قد وصلت لقمة الرعب على حاله ولم تعد تستطيع تركه لحال سبيله بعد يوم كامل من إغلاقه الباب على نفسه دون طعام أو شراب منذ وصل القصر.

استيقظ أحمد على طرقها وهو ينتفض ولم يفتح لها إلا بعد أن اطمأن أنها لا تحمل معها شيئا قد يقتله، ففتح لها الباب.

روز: إيه ده.. انت لسه نايم من امبارح؟ احنا بقينا الصبح وانت حابس نفسك في أوضتك.

أحمد: صبح!!

جرى نحو الشباك وفتح الترابيس ثم نظر فوجد نفسه لايرى سوى ليلٍ حالك.

أحمد: احنا الصبح!!

روزبابتسامة: صباح العسل.. أحضر لك إيه على الفطار؟

أحمد بحزن: أي حاجة.

روز: أقول لك تعال نفطر في الجنينة.. اغسل وشك وتعال هحضر لك

الفطار وأستناك نفطر سوا تحت.

غسل أحمد وجهه وتجهز ونزل الجنينة فوجد ولي فيها يقرأ الجرائد بشوشا.

ولي: صباح الخير.

أحمد: مممممممممم.

ولي: روز مستنياك تفطروا سوا هناك.. واضح إن الأمور بقت تمام بينكو.. مش قلت لك؟

أحمد: صدقني مش فاكر أي حاجة من اللي بتتكلم عنها.

ولي: وماله عيش لحظتك روح افطر.

تركه أحمد وتوجّه إلى روز فوجدها قد وضعت طعاما كثيرا شهيا وحلوى وقد بدّلت ثيابها للمرة الثانيه بثوبٍ آخرَ أنيقٍ، جلس يُفطر معها وأخذت تضع له في طبقه وتعدّ له الشاي بنفسها وكانت تحفظ عدد ملاعق السكر التي يريدها وأي طعام يحب، كانت تعلم عنه كل شيء فقد كانت تهتم به كثيرا وبكل احتياجاته وقد أحضرت له ملابس جديدة كانت قد طلبت من راجي أن يحضرها له، ولم يكن راجي يستطيع رفض أي طلب لها، فقد كانت سعيدة جدا بالدبلة التي تظن أن أحمد استلف ثمنها من راجي ليشتريها لها حبا فيها، كانت تظنه بالفعل هو من أرادها فلم تكن عادة راجي أن يطلب من أحد الزواج بروز لذلك لم تشك قط في أن راجي له يد في الأمر.

روز: مبسوط؟

أحمد: الحمد لله.

روز: بالعكس حساك مضايق.. لو عشان موضوع الذاكرة متقلقش هترجع قريب.. واعتبرني أنا الدليل بتاعك هعتني بيك لحد ما تيجي ها يا عم ارتاح بقى.

أحمد: مش بس كده.. إحساسي بالضلمة.

روز: ضلمة إيه.

أحمد: أنا مش مدرك ليل من نهار وكأن اتحرّمت عليا الشمس.. الناس بتقول ياه الشمس لاسعة وحر وأنا نفسي أحسها نفسي تيجي عليا.. نفسي أشوف ضوء.. أنا حاسس إني هتجنن بقالي كام يوم في ضلمة حاسس إني مخنوق وعاوز أطلع من الضلمة دي.

روز: أنا حاسة بيك.. عارفة يعني إيه إنسان يبقى مخنوق ومش عارف يتصرف؟ تعرف أنا زمان كنت طول الوقت بشتغل في القصر أطلع من شغلانة للتانية من بصل لغسيل لزريبة.. وراجي يقول لي انتي هانم متشتغليش وأنا مقدرش أبطل.. إحساسك إنك مخنوق وفي دايرة مقفولة بيخليك لو مخرجتش تتجنن أو تحاول تتلهي في حاجة تنسى بيها إنك في حالتك دي تتخدر في أي حاجة تنشغل فيها.. وجودنا في قصر في وسط الصحرا خلاني أتجنن ومخرجنيش من جنوني غير هدة الشغل في القصر.

أحمد: وانتو ليه مش بتروحوا حتة تانية؟

روز: ده بيت راجي مقدرش أقول له عاوزة ومش عاوزة كفاية إنه

مقعدني معاهم.. بيتهيألي ولي حكالك كل حاجه عني.

أحمد: في الواقع أنا مش فاكر حتى اللي يخصني.

ظل أحمد وروز يتحدثا طويلا ويضحكا ، وبعد الإفطار صعد أحمد الغرفة ليبدل ملابسه وكان ولي مُراقبا لكل ما يحدث بين أحمد وروز ويُطلع راجي أولا بأول، الذي كاد يرقص من الفرحة لسعادة روز وكونه سيطمئن عليها أخيرا.

صعد أحمد لتبديل ملابسه وصعدت معه روز لإصرارها على تنظيف حجرته بنفسها فدخل هو الحمام ليبدل ملابسه ويستحم وظلت هي بالحجرة تكنسها وتنظفها وتغير ملاءات السرير إلى أن وجدت على التسريحة الورقة التي كان يدون بها أحمد مخاوفه من راجي وحورية وعدنان والمكان بالكامل، ووجدت الجملة التي كتبها عنها «روز بلوة»، وعندما خرج أحمد من الحمام وجدها تمسك الورقة.

روز: واضح إن راجي هو اللي جابلي الدبلة.

أحمد بإحراج: أنا بجد آسف مقصدتش.

روز: أنا اللي آسفة مقصدتش تتبلى بيا.

وخرجت من الحجرة وظل هو جالسا متجهما لما فعله بها فهو لا يتذكر عنها شيئا وإن كان يشعر أنه آلمها كثيرا.

في الظهيرة نزل أحمد للحديقة ولكنه ما زال يرى الدنيا ليلا، ولم

يجد بالمكان سوى ولي الذي جلس بجوار كلبه فجلس معه.

ولي: مالك فيه حاجه.

أحمد: لالالا.. أنا تمام.

ولي: أمال فين روز.

أحمد: أكيد هنا ولا هنا معرفش.

ولي: لو في حاجة عاوز تقولها أنا معاك وسامعك.

أحمد: لالا مفيش.

ظل أحمد جالسا إلى جوار ولي لا يتحدث ولم يثقل على كاهله ولي فهو يعلم أنه إن أراد التحدث سيأتي له لأنه أكثر من يرتاح له بالمكان، بعد فترة لمح أحمد الصبي الذي كان يسرق الفاكهة يقف بالحديقة.

أحمد: إيه ده الولد الصغير بتاع الفاكهة؟

ولي: إيه ده انت رجعت لك الذاكرة؟

مشي أحمد نحو الولد الصغير دون أن يلتفت لولي ولا أن يلتفت أن ذاكرته قد عادت له، فقد دفعه فضوله للاطمئنان على الطفل الذي لم يرَه ولم يسمع عنه أي شيء بعد أن أمسك به خدم راجي.

أحمد: الحمد لله إنك بخير.. إيه اللي رجّعك تاني هنا أنا كنت قلت راجي عمل فيك حاجة.

الصبي بضحك: أنا جاي أراعي الشجر بتاعي.. العشر شجرات دول

بتوعي.

وقد أشار لعشر شجرات داخل حديقة راجي فتعجب أحمد.

أحمد: بتاعك!! أمال كنت بتسرق ليه؟

الصبي: أنا فعلا كنت باجي كل يوم بسرق.. وكنت عايش على الأكل من الجنينة هنا وكان أكلها حلو أوي بس بعد فترة بقت الفاكهة اللي بلاقيها على الأرض بايظة.. بس بردو كنت بسرقها وببقى مبسوط لإني على الأقل بلاقي حاجة تتاكل.. لحد ما في يوم جيت ملقتش فاكهة وروحت معيط وفضلت جعان طول اليوم واخواتي زعلانين وبيعيطوا.. وجيت تاني يوم بردو ملقتش.. بس يومها مسكوني العمال بتوع القصر وودوني لعم راجي.. خفت وحاولت أهرب لكن هو مسكني وجاب لي فاكهة من اللي على الشجرة الحلوة النضيفة.. دقتها لقيتها حلوة أوي مش زي اللي بسرقها.. فعم راجي قال لي عشان مسرقتهاش طعمها حلو.. ويومها إداني العشر شجرات دول وقال لي أعتني بيهم وكمان هيخلي الناس تعلمني وتساعدني.. ولما يحصدوا هيديني نص المحصول والنص التاني أديه ليه.. وفي مقابل نص المحصول اللي هياخده مني هيديني عشر شجرات كمان فوق دول.

أحمد بذهول: إيه الكلام الغريب ده؟

الصبي: زي ما حكيت لك سبني بقى عشان هسقي زرعتي وألحق أروح لأمي واخواتي.

تركه أحمد وهو في قمة ذهوله فقد كان يرى الصورة بشكل مأساوي مختلف، الصورة أصبحت مشوشة لدى أحمد ولم يعد عقله قادرا على الاستيعاب فذهب لولي ليستفهم منه حقيقة هذا.. هل أصبح يتخيل حوارات أم أنها الحقيقة؟

وكان ولي ينتظره وهو يضحك لأنه يدرك الصدمة التي أصابت أحمد.

أحمد: أنا مبقتش فاهم حاجة.. راجي ده مين؟ وفيه إيه؟

ولي: قلت لك إن راجي زيك صاياه اللعنة.

أحمد: راجي ده مليان بلاوي أصلا.. مش بلوة واحد.. كفاية الناس اللي بيعذبهم دول.. ده كان المفروض تلاتين لعنة مش لعنة واحدة.

ولي: ده في نظرك انت بس.. بص يا أحمد انت عشان تخلص من لعنتك لازم من جواك تتغير وتحاول تساعد غيرك يتغير.

أحمد: صح.

ولي: راجي زيك.. بس مشكلته مختلفة عنك.. راجي عاش عمره كله بيجري ورا الفلوس.. عشان كده لما جه يصلّح غلطه جاب الناس الطماعين دول كلهم هنا.. وقال إنه هيديهم فلوس على حسب رضاه عنهم.. كل واحد فيهم كان فاكر إنه لما يمرمط نفسه لراجي هيديه أكتر.. لكن مش ده اللي كان عاوزه راجي.. راجي سابهم يتمرمطوا عشان يعرفوا إن المال مش كل حاجه.. مش ده اللي يبيع حياته عشانه.. كان كل واحد يتعب هنا

ويتضغط أوي لحد ما يوصل إنه يكره راجي ويحس إن المال مايساويش يبيع نفسه لراجي ولا لغيره ويقرر يمشي ويروح يشتغل بره بطريقة صح وفيها احترام لنفسه.. راجي كان يراقبه فترة وإذا مرجعش للقصر تاني وثبت على الدرس اللي اتعلمه يفاجئه راجي بمبلغ كبير مكافأة منه.. عرفت ليه الكل كان عاوز يتخلص منك؟ لأنهم فاكرين إن راجي هيوزع فلوس على حسب الطاعة.. وخافوا تبقى أكتر منهم طاعة فحاولوا يخلصوا منك زى ما بيحاولوا يخلصوا من بعض عشان يوصلوا لفلوسه.

أحمد: ياه! كل ده ولسه اللعنة بعد ده كله مراحتش.

ولي: لسه.. وده اللي محطمه هو آه كل يوم يطلع من تحت إيده ناس اتعلموا الدرس يتمتع بنجاحه فيهم لكن لسه وجع الضمير.. لسه الانكسار جواه.. راجي مش بيدور على إن اللعنة تروح.. راجي نفسه يتصالح مع نفسه اللي عملت كل حاجة غلط عشان الفلوس.

أحمد: ياااااااااااااه.. ده البني آدم مننا سر.

ولي: محدش عاش في الدنيا وسِلِم.. اوعى تبص للظاهر.

أحمد: ليك حق.

ثم دخل أحد الخدم وقطع حوارهم: راجي بيه عاوز أحمد.

أحمد: أووووووووو عاوز إيه راجي دلوقت.. هو احنا صبح ولا ليل هو جه معاد القراية بتاعه؟

ولي: لا لسه احنا بالنهار بس روح شوفه عاوز إيه.

صعد أحمد لحجرة راجي مفتوحة الباب دائما ثم دخل.

راجي: امسح جزمتك يا حيوان.

أحمد بانفعال: إيه يا عم هو أنا داخل معبد؟ أمال لو مكنتش عشت عمرك كله في وساخة.

راجي: بس مش هموت نجس ارجع امسح جزمتك وادخل.

ذهب أحمد ومسح حذاءه ثم عاد ووقف أمام مكتب راجي فتقدم نحوه راجي.

راجي بحدة: انت اللي خليت روز تفسخ الخطوبة؟

أحمد: هي اللي فسختها.

راجي بانفعال: تعرف إيه عن روز عشان كلب زيك يرفضها؟ مين انت؟!! وازاي مترضاش بيها؟ أنا هنا اللي أأمر وأنهى.. روز دي هدية الزمن اللي انت معرفتش تقدرها.

أحمد: مش عاوز هدايا.

راجي: لسه زي ما انت.. بترفض كل نعمة بأنعرة الجاهل.. انت فاكر نفسك أحسن مني مع إنك انت هتتحول في يوم زيي.. انت صورة مني بس مصغرة اوعى تفتكر نفسك ملاك.. انت بتقدّر اللي عندك بلسانك بس عشان تترفع اللعنة.. إنما عمرك ما قدرت أي شيء وطول الوقت عينك ع اللي عند غيرك.

وقد لاحظ أحمد في حدة وانفعال راجي أن بنطاله ابتل وأنه تبول على نفسه، لكن راجي على الرغم من شعوره بذاته ظل يتكلم بنفس القوة دون أن يشعر أحمد أنه قد تبول على نفسه وهجم على أحمد وجذب رأسه نحو الأرض.

راجي: هتحطها على الأرض امتى وهتمسح وشك بتراب الأرض؟ أنا لو رجع الزمن بيا تاني كنت أتمنى حد يحشر راسي في الأرض ويقول لي فوق في الآخر هتروح لدي، ولا إني أعيش كلب لما أوصل للسن ده أبص للي فات ألاقيه حقير ويكسر وأبص للأرض ألاقيني بقرب إني أروح لها ولسه ملاقيتش طريقة أحس قدام نفسي بيها إني محترم.

ثم شد أحمد من شعره ووضع وجهه في وجه أحمد واستطرد:

– شوف الحفر اللي في وشي؟ هتبقى عندك.. ولما هيتملكك المرض هتبل نفسك زيي زي الكلب.. وتعمل نفسك متكسفتش عشان متكسرش نفسك قدام تافه من دور عيالك.

ثم ترك راجي رأس أحمد واستطرد: انت فعلا أقل من إنك تقدر روز.

خرج أحمد من الحجرة مسرعا وفي عينيه دموع، في عينيه كسرة راجي، وتساءل هل هو – كما قال راجي – صورة مصغرة منه؟ المشكلة الحقيقية أن أحمد وعى لكونه عاش طوال حياته أعمى يظن أنه بصير، دخل

حجرته وظل ينتحب ويبكي بشدة ليس فقط من منظر راجي ولكنه أدرك كم هو وضيع، كان يتعامل مع اللعنة كعبء لكنه أبدا لم يرَ حاله.. لم يرَ من هو.. إن راجي اليوم بالنسبة له مرآة رأى فيها حاله ورأى مستقبله، نظر طويلا للسماء من خلال الشباك المفتوح فوجد الظلمة في كل مكان، الظلمة لم تكن السماء بقدر ما كانت نفسه هي المظلمة، أخذ يبكي ويبكي بشدة، يبكي في حياء يبكي وهو يريد أن يصرخ لكن صوته كان خجلا.. فأي شيء يقول؟

ظل هكذا فترة طويلة حتى جفت دموعه.. جفت تماما لم يعد هناك دموع، وضاق القصر عليه كان يشعر بالجدران تطبق عليه.. كان يريد أن يرحل بأي طريقة لمكان أكثر رحابة وسعة، كان يريد أن يصل لحالة من الرضى والسكون لكنه لا يدري كيف، فجأة تعلقت عيناه بمئذنة المسجد التي كان يراها يوميا من خلال الشباك، المكان الذي صادفه في أول يوم له في الصحراء ولم يكن يدري لما يبنى مسجد في مكان مقفر كهذا؟.

جرى نحو المسجد بكل عزمه.. كان محتاجا لأن يخرج من وجعه لرحابة الروحانية.. كان يريد أن يخرج من جسده ويصبح روحا صافية، ربما وُجدت دور العبادة لهذا، كلنا نستطيع أن نعبد الله أينما نريد لكن في تلك الدور الشعور مختلف.. ربما ونحن ندخل نخلع أجسادنا وماديتنا والدنيا خلفنا ونركز في شيء واحد.. الخروج من الوجع إلى رحابة الروح المنطلقة الهائمة بلا قيود.

لم يكن يدري يوما أنه سيجري بهذا القدر من اللهفة ليذهب هناك.

خلع نعليه وطرق الباب الموارب فلم يكن مغلقا ودخل فوجد شيخ المسجد جالسا فجلس بجواره دون أن يتحدث، مضت فترة طويلة ولم يكسر الشيخ الصمت.. تركه يختلي مع روحه فليس كل الصمت صمتا بحق فقد يكون صمت من يسمع الكثير من الكلام. بعد مدة لعلّها ساعة قام أحمد ليخرج من المسجد وعند باب المسجد نظر طويلا للشيخ، فابتسم الشيخ قائلا: إن بابا يطرق بشدة لا بد أن يُفتح.

خرج أحمد من المسجد ولم تختلف أزمته كثيرا ولكنه شعر أنه اغتسل وأن نفسه أصبحت أقل حملا من ذي قبل.

توالت الأيام وأحمد غالق على نفسه الحجرة لا يخرج، فموعد السفر خلال يومين كما تَحدد له وشهم دفع تكاليف السفر وكل شيء أُعِد، لكن لم يكن أحمد يستطيع الكلام مع أحد كانت بين عينيه دموع وانكسار دائم. ما زال لا يرى الشمس لا يشعر بالأيام سوى من حديث الآخرين، يشعر أنه مقيد، لا يرى روز وولي هو من يحضر له الطعام في حجرته، وأحيانا يأكل وأحيانا لا يأكل، الشيء الوحيد الذي يخرج له من الحجرة هو فترة القراءة التي تخص راجي، ليس لكون راجي يهدده ولكنه الآن شعر براجي.. شعر بضعفه، شعر كم هو في قمة الغلب ولا يجد سعادته سوى في ساعتي القراءة التي يمنحه إياها أحمد، وقد أصبح أحمد يدخل عليه بعد أن يمسح قدميه ويمسك الكتاب ويقرأ دون أن يفهم شيئا، وأصبح راجي نفسه يسرح خلال قراءة أحمد، الأسد نخ مع الوقت وخارت قواه وجاءت عليه الأيام بالضعف،

خاصة مع رؤيته لأحمد يتذكر من خلال كسرة عينيه حاله وانكساره، لقد خارت قوى أحمد هو الآخر ولم تتجدد اللعنات، فقط الليل الدامس الذي لا ينقطع، وقد طالت لحية أحمد وتبدل شكله أصبح خواءً من الداخل والخارج.

* * *

٩

جلس أحمد في حجرته وحيدا في اليوم السابق لموعد سفره ولم يغلق الشباك لعلّه يلمح الصفح في نور الشمس الذي أصبح لا يراه بتاتا، ودخلت عليه روز فوجدت لحيته قد طالت، ووجدت شكله قد تبدل وعينيه محمرتين من كثرة الأرق والبكاء، ولم يكن أحمد قد رأى روز من وقت آخر مرة خلعت فيها الدبلة وقد ذهبت لحجرته لتودعه فقد علمت من ولي بموعد سفره في الغد، كان أحمد بالنسبه لروز الحلم، فهو ليس كبقية من في القصر لم يكن مجرما ولا طامعا، فهي في هذا القصر كانت بمعزل عن العالم تحلم بمن يدخل القصر ليأخذها للحلم الذي تمنته لكن لسوء حظها من دخل القصر كان أحمد الذي كان يرفض أن يفكر بها، وعلى الرغم من أنها أرادته إلا أنه لم يردها، ولم يؤثر ذلك على شعورها نحوه فهي ما زالت تتمنى له الخير، وما زالت لا تريده يرحل دون أن تصافح حلمها لآخر مرة قبل السفر.

روز: صباح الخير.

أحمد باندهاش: صباح الخير.. ياه من كتير ماشوفتكيش!!

روز: مسافر بكرة خلاص.

أحمد: آه.

روز: هتفضل كده الدنيا توديك وتجيبك؟

أحمد: قدري.

روز: عارف يعني إيه يكون ليك أهل بيحبوك وتسيبهم؟

أحمد بدموع: مش قادر أكلم أمي أقول لها إني خلاص ماشي.. نفسي أسمع صوتها من ساعة ما هربت.. مش نافع أكلّم حد فيهم أكيد تليفوناتهم متراقبة.. نفسي أقول لها بحبك وإني كان نفسي أقضي باقي عمري جنبها.

روز وهي تبكي: لو كان عندي أهل عاوزيني كنت حاربت إن شالله أندفن جنبهم.. لكن مكنش ليا نصيب في ده.

أحمد: أنا آسف أوي.. في ناس كتير جميلة مش بنشوفها إلا لما تضيع منا.

روز: نفسك هي اللي تستحق تعتذر لها عن كل يوم أذيتها بسلبيتك.. على كل دقيقة هتتحرم فيها من أهلك بسبب جبنك وإنك متعودتش تواجه.. أنا خليت راجي يشتري لك هدوم عشان سفريتك وإذا كنت محتاج أي حاجه اطلبها متعرفش إيه اللي هيقابلك هناك.

ثم همت لتخرج فناداها أحمد: روز.

نظرت له فقال: حتى متشكر قليلة عليكي.

خرجت روز قبل أن تنزل أمامه دموعها، وظل هو في مكانه فقد اعتاد تمضية وقته بالحجرة، جلس يتذكر والدته وأيام شقائها من أجله هو وأخته فلم يكن لهما في الحياة سواها ولم تكن تأمل إلا بهما، الآن لم يعد لها ما تأمل فيه، فهو مسافر ويعلم الله إن كان سيصل ناجيا أم أنه سيصبح من نصف المهاجرين الذين باعوا نصف عمرهم في حلم السفر والنصف الآخر وهم يسافرون، جلس يتذكر صوتها وطعم طبيخها وطعم رضاها ورائحة حضنها، كان يفتقدها بالفعل، نام في السرير وتذكر وقت أن كان ينام في حضنها لم يكن ينام سريعا كان كلاهما يحكي طوال الليل حتى يغوص في النوم ولم تكن تسأمه، كانت تضاحكه وتلاعبه وتظل تحكي له حكايات هو وأخته حتى يناما.

تذكر كل شيء بينهما كانت ليلة مراجعة، ليلة ذكر فيها عائلته وعمله وما حدث له بالقصر من لعنات وما ذهب منه من نعم ادعى أنها غير مهمة لأنه لم يكن يراها. تذكر ظهره المحني وعينه التي ترى هلاوس والدموع والحيوانات والأرض التي بلعته وأصابعه الملتصقة ووجهه الذي تغير وفضح ما يفكر فيه والطعام والماء والشمس. كم من أشياء ذهبت وجاءت وكم من أشياء ستذهب بلا عودة، وهل ستذهب نعمة الأهل كما قالت روز؟ وهل روز نفسها نعمة وراحت منه؟ إنه الإنسان بطبعه لا يرضيه درس أو اثنان أو ثلاثة ليفهم بل يظل يخطئ ويدّعي أنه القدر، اليوم كانت ثورة من القدر، لم يكن القدر من يفعل، بل كنا نحن ونقول هو ذا القدر.

* * *

ظل في حجرته يفكر في أمره ويجمع ما توصل إليه من فكر ثم ذهب في المساء لراجي حيث ساعتي القراءة لكنه فتح الكتاب ولم يقرأ ظل صامتا وراجي صامت هو الآخر، هل هو صمت الوداع؟ هل لأن راجي لم يعتد أن يحنو ويودع؟ فصمت كلاهما في تعبير عن حزن الرفيقين على الفراق؟ الليلة آخر ليلة قراءة لهما معا، لن يكون هناك راجي أو ولي أو قصر بعد اليوم، ولن يكون من اليوم لراجي ساعتي القراءة أو الشاب الذي كان يريده لروز ليطمئن عليها، كسر أحمد الصمت وتحدث.

أحمد: تعرف؟ أنا اكتشفت إن فيه طرق كتيرة سهلة بس احنا اللي بنحب ندور ع الطريق الصعب مع إنه بيقتل فينا الروح وبنبقى جسم بيموت بالبطيء.

نظر كلاهما للآخر واتسطرد أحمد: أنا قررت أعيش بجد.. قررت متحبسش في حزن وكسرة طول العمر.. هسلم نفسي.

صمت راجي فترة ثم قال: متأكد من اللي هتعمله؟

أحمد: أنا متأكد إني مش عايش ونفسي أجرب أعيش.

ترك أحمد الكتاب ثم اتجه ليخرج من الحجرة لكنه التفت مرة أخرى نحو راجي وقال له: وانتا كمان حاول تعيش.. لأنك فعلا تستحق تعيش.

ابتسم راجي لأحمد ابتسامة مكسورة ثم خرج أحمد وتركه.

* * *

هناك عند الأرض وجد العجوز جالسة على غير عادة تنتظره، فقد اعتاد في الآونة الأخيرة أن ينتظرها إلا أنها في هذه الليلة جلست تنتظره وأمامها نار تدفئها، دخل أحمد مبتسما حينما رآها فقد أصبحت على الرغم من كل عيوبها عادة اعتاد على وجودها.

أحمد: أنا جيت أسلم عليكي.. يمكن يبقى ده آخر يوم آجي الأرض.. أنا هسلم نفسي للبوليس.

لم تدِر وجهها ناحيته وظلت تدفئ نفسها بالنار وهو واقف خلفها.

العجوز: مش هتهرب؟

أحمد: أنا هربت عمري اللي فات كله.. بس مش هينفع أموت هربان.

التفتت له العجوز بابتسامة حنون: متقلقش خلاص.. انت مبقتش محتاج تيجي الأرض تاني.

ثم استندت على الأرض ووقفت أمامه وقد أمسكت فرع الشجرة الذي تتعكز عليه.

واستطردت: الخليل مضطر يفارق خليله.. يمكن تكون محبتنيش.. بس أكيد شفت معايا الأمور بصورة تانية.. بلغ سلامي لراجي وقولّه هو كمان خلاص اللعنة اتمحت.. طَهور إن شاء الله.

أحمد: بس أنا ما ساعدتش حد عشان أخرج من لعنتي.

العجوز: ازاي؟!.. انت ساعدت راجي.. خليته يفكر ازاي يقدر الحياة ويعيش.

ابتسمت العجوز ثم مشت مبتعدة عن أحمد وهي تتكئ على عصاها راحلة، ومع خطواتها بدأ أحمد يلمح بداية شروق الشمس وهو غير مصدق أنه يرى ضوءا ثم تذكر الصرة فنادى العجوز بلهفة.

أحمد: استني ماتمشيش.. لسه فاضل جنيه دهب متصرفش.. يا حاجة.

التفتت إليه وهي تبتسم كأم: دي الذكرى اللي هتفضل مني عشان تفضل فاكرني.

أحمد بابتسامة: متعرفناش يا حاجة.

العجوز: دنيا.

ابتسم كلاهما للآخر ابتسامة الوداع وكلما ابتعدت العجوز، بدأت الشمس تشرق وترتفع في السماء وتملأ عيني أحمد بالسعادة، بعدها أخرج أحمد الموبايل سريعا واتصل بوالدته ليسمع صوتها لأول مرة منذ هروبه.

أمه: سلام عليكم.

أحمد وهو يدمع: ياااااااااااااااااااه.. وعليكم السلام يا حاجة.. يا أصعب نعمة اتحرمت منها.

الأم بدموع ولهفة: أحمد انت بخير.. فينك يا قلبي؟

أحمد: خلاص مش هفضل جبان راجع هسلم نفسي.

الأم: يا بني براءتك ظهرت.. زمايلك الدكاترة اعترفوا على صاحب المستشفى.

تعجب أحمد وعندها تذكر العجوز وكلماتها: تخيل كان سايب له باب السجن مفتوح، ديما بندور على الطريق الصعب.

أحمد: يا بنت الذينة.. كنتي عاوزاني أسأل عن آخر التطورات في قضيتي.. يعني أنا براءتي كانت ظهرت من وقتها.

الأم: بتتكلم عن إيه يا أحمد؟

أحمد: لما آجي هحكي لك عن كل حاجة.. بس المهم طمنيني عليكي انتي ومنى عاملين إيه؟

الأم: ناقصنا انت يا بني.

أحمد: جاي جاي النهارده.. بقدر وأمر الله.

* * *

جمع أحمد أشياءه استعدادا لترك القصر وذهب أحمد وودع ولي وراجي بعد أن أخبرهما بما حدث مع العجوز وبرفع اللعنة عن راجي الذي تهلل بعد شقاء الأعوام ثم نزل يبحث عن روز في كل مكان حتى وجدها قد عادت للعمل في القصر مرة أخرى وتحلب الجاموس في الزريبة.

أحمد: أنا خلاص ماشي.

روز بابتسامة: مبروك على براءتك.. ولي قال لي.

أحمد: الله يبارك فيكي، ثم أكمل باستحياء: روز.

روز: نعم.

أحمد: هي الحاجة والدتي كانت أمنتني أمانة.

روز: خير.

أحمد: عاوزة تشوفك.. أكيد مش هتكسفيها دي أمي يعني.

روز: راجي مابيرضاش أخرج بره.

أحمد بغلاسة: اتلككي بقى... قولي راجي عشان لما أروح له يقول لي دبل.

روز: تصدق إنك غلس.

أحمد وهو يضحك: خلاص خلاص.. جبتها معايا، ثم مد يده بالدبل وعاد وأبعدها مرة أخرى: بس انتي مقولتليش هتاخدي لحسة ولا أرمة؟

روز: لسه فاكر؟

أحمد: وده يتنسي ده انتي أكلتيه كله وتقوليلي متحفش.

ثم خرج كلاهما من الزريبة وتوجها لراجي الذي كان قد طلب منه أحمد يد روز وقد ذهب إليه أحمد ليخبره بموافقة روز، وحينما ذهب كان باب غرفة راجي مفتوحا كالعادة وكان معه ولي وما أن دخل حتى تذكر أحمد أنه لم يمسح حذاءه فعاد قبل أن يصرخ راجي.

أحمد: همسح الجزمة.

ضحك ولي وراجي ثم قام راجي لأحمد وهو يصافحه.

راجي: روز أمانة.

أحمد: أحلى أمانه وأنا اتقبلتها.

راجي: خد الشيك ده.

أحمد: روز هي الهدية الوحيدة اللي ممكن أقبلها من هنا.

راجي: الفلوس دي مش عشان روز، دي عشان أحمد رفض فلوس راجي ودور على المال من غير ما يبقى عبد له.. ده قانون هنا انت عارف.

نظر أحمد فوجدهم ثلاثة ملايين جنيه فقال: أسبوعين بتلاتة مليون..

احتضن راجي أحمد بشدة ثم أمسك أحمد يد راجي وأوصاه على ولي: خد بالك من العجوز ده.

واحتضن ولي وقبله ثم دخلت روز التي صافحها راجي بحب أب قد أدى الأمانة لابنته.

راجي: عاوزك ترفعي راسي، ثم همس في أذنها بلاش فلح في الكلام أنا صارف عليكي مدرسين هنا برقبته، عاوزك تعقديهم بشياكتك واللغات اللي اتعلمتيها، أنقعرة للصبح.. عاوزهم يقولوا ملكة.

روز هامسة في أذنه: من غير توصية.

نزل أحمد وروز حديقة القصر ليتوجها خارجين منه إلى منزل أحمد. الحديقة كأول يوم رآها أحمد، الخدم في كل مكان وصوت راجي وهو يصرخ فيهم ورجل الطلاء يطلي السور ولكن بلون برتقالي هذه المرة، الكل يعمل في القصر كالنحلة، غير أن الجميع ينظر لأحمد بحقد لشعورهم بمكسبه.

أحمد: أول زيارة إن شاء الله هنعملها لشهم لازم نشكره على مساعدته ليا.. أنا بفكر كمان أخليه يعدي على الأرض الملعونة أهو يلحق نفسه ويتوب عن السرقة.

روز: عندكوا زريبة في البيت؟

أحمد: الملافظ سعد ده أنا خطيبك.. قولي جنينة.. كازينو.. إنما زريبة؟

روز: يعني هو انت كنت بتوعدني نتفسح فين.. ما انت بتقول هنزور حرامي.

أحمد: لا لا شهم ده صاحبي.

روز: لعلمك أنا بسأل على زريبة عشان أقولك إن روز هانم مش هتعمل حاجة حتى لو في..

أحمد: لا.. أنا ليا نظامي بصي بقى.

روز: لا بقى أنا لازم أقول لراجي.

أحمد: لالا.. متخلنيش أزقلك بحاجة.

روز: فيه حد يقول أزقلك إيه الكلمة الغريبة دي؟ نو نو.

أحمد: نو؟ الله يرحم.

روز: طب انت تعرف إني خريجة لغات.

أحمد: على راجي الكلام ده يا ماما.. إنما أنا بقى دكتور.

روز: مش شايفين بلطو يعني.

أحمد: هوديكي لأمي تحكيلك.

يتعثر أحمد في حجر وتجري عليه روز وتمسكه.

روز: شفت أنا اللي لحقتك ولا أمك؟

* * *

ذهب كلاهما للقاهرة وتزوجا في حفل كبير، كان راجي يريد الحفل بالقصر إلا أن أحمد خاف أن يخطئ أحد ويدخل الأرض الملعونة ففضل إقامة الفرح في قاعة خارجية، وكان أحمد وروز مداومين على زيارة راجي الذي مع الوقت اضطر أن يشتري شقة في القاهرة ليكون قريبا منهم عقب ولادة روز ليبقى مع حفيده الأول أطول وقت ممكن هو وولي.